

## كلمة العدد:

## كلّ حول والثقافة على خير حول

بقلم : محسن الكريفي

زمننا زمن التحوّلات الكبرى فيه رياح عاصفة هوجاء تمزّ العالم بأسره إنّه عصر الانفتاحات والصّراعات والمصالح الكبرى أضحي الكون بريغه ومدنه، بأقصاه وأدناه، بشرقه وغربه، رقعة صغرى. وباتت الثقافة سلاحا خطيرا. إنّهما أخطر من أسلحة الدّمار الشّامل، ومن صواريخ التوماهوك الفانية لأعمق الحضارات وأعتاها...

كان نابليون بوناپرت ذكيا حلّما، بمنطق التحوّلات غزا مصر مفتاح الشرق. لم يأت بالدّبّابات والجيوش فحسب، بل جاء بالكتاب والمكتبات... كان يعلم بحدسه العسكري والثقافي أنّ فكرة القوّة زائلة وقوّة الفكر باقية. ملك نابليون الرّقاب وعقول الرّقاب. بضمائمه ما زالت حاضرة في المشرق والمغرب إلى الآن. غرس ثقافة وسيلة كانت حرسا، أعنى من الدّبّابات والمنجزرات وعمرمم الجيوش. ونحن في حول إداري جديد لا يسعنا إلّا أن نثني على كلّ صادق غيور على الثقافة شهيد يقلع الضّرس ويلتذّ آلامه كما يقطع الكلم ويتنشي بإعلانه شاعنا أسوة بالذكر الحفيظ... إنّنا نشد إزر من له مولود ثقافي ومن له موايد ونهمس لهم ولاداتكم عسيرة مكلفة والخواض مراسها صعب ومع ذلك كونوا مولادين. وتكاثروا، تكاثروا فإنّا مفاخرون بكم يوم الحوار العظيم للثقافات نقول للمترددين، والخائفين والقانتين من المثقفين فتقوا بنحى المولود دعوا إبداعاتكم تخرج للتور لنا في الحلاجّ إسوة وفي ابن عربي وفي جلال الدين الرومي وفي التوحيد وفي الشابي وفي يوسف رزوقة والمسعودي والمنصف المزغني ولطفي

بوشناق والشيخ إمام وعبد العزيز شبيل والمهادي الخطلاوي لنا في كل هؤلاء وفي غيرهم من المبدعين الذين لم تسعفنا الذاكرة باستحضارهم. العزاء الكبير لأنهم خطّوا طريق الثور من العتمة . وكلّ حول وهم يحاولون أفنوا العمر كذا وحزما ورضوا بالقليل في انتظار الكثير.

والإتحاف التي استفادت كثيرا من التحوّلات الثقافية العميقة في تونس تسعى جاهدة بما لديها لاحتضان المبدعين من شتى أنحاء الوطن العربي الكبير ترمّم المحاولات وتشجّع المواهب وتعلي الرايات. وقد بدأت تجربة جديدة هذا العام سنّت القوافل الثقافية الدورية في مراكز ولايات الشمال الغربي وهي مناسبة بما تقترب الإتحاف من أوفياتها ومريديها ومشجعيها.

أول رحلة كانت بمدينة الكاف الشاذلي يليها موكب الرحلة إلى جندوبة الصامدة الباسلة ثم يكون اللقاء بالأحبة بمدينة باجة الغراء الحلوة الفيحاء لترجع مواكب الخير حبلى بإبداعات مريديها جامعة لخراج : الشعر والنثر والنقد والرسم وشتى صور الفنون إلى سليانة بالضياء مزدانة .

كلّ حول وقوافلنا حبلى بألف المؤلفات ومبدعوننا على خصوبة الفكر ولنبال التهميش والغطرسة والظلم الزاحف علينا في ديارنا زاجرون بكم أنتم أيها المثقفون نردّ على ثقافة نابليون ونحاور أتباعه وذريته ومن فهموا حوار الفكر قتلا للأبراء والأطفال الرضع في المهده.. في كلّ حول نقول إننا ننتظر المزيد فهل من حول يا رجال الفكر ؟ هل من إبداع ؟ هل من مزيد ؟ إننا للإبداع وإننا إليه راجعون وكلّ حول والثقافة على خير حول...



## مدارس النصر وأولاهها مدرسة شارع الجمهورية

### بسليانة

بقلم الأستاذ : عبد الستار الهادي

قبل الاستقلال لم يكن التعليم  
العصري منتشرا بسليانة فلا يوجد منه  
إلا قسم واحد أو اثنين بمدينة سليانة  
ومثل ذلك بقرية جامة الأثرية  
والموجود بوفرة هو التعليم القرآني  
يقبل عليه الناس ويسهل عليهم تعاطيه  
حسب الزاوية.

وسبب ذلك أن بسليانة عدة زوايا  
تقوم بتحفيظ القرآن الكريم لمن يرغب  
فيه ومن تلك الزوايا زاوية سيدي  
حمادة وزاوية سيدي مرشد وزاوية  
سيدي الباهي وزاوية سيدي جابر  
وأحدث زاوية أدركتها تحفظ القرآن  
الكريم هي زاوية سيدي عبد الملك  
فهذه الأخيرة ينتصب بها مؤدبان  
يتجاوز تلاميذهما السبعين تلميذا  
وتمتاز بأن التلاميذ بها يحصلون على  
الغذاء والمبيت المجانيين.

وقد لقيت أوج ازدهارها على يدي  
شيخها الأخير المرحوم الشيخ عبد  
الباقي بن عبد الملك الذي عني بها  
عناية فائقة وأكثر مصاريفها يتحملها  
من ماله الخاص بعد صرف مدخول  
حسب الزاوية.

المتخرجون بعد حفظ القرآن  
كله أو نصيب منه فبعضهم يقصد  
العاصمة للتعلم بجامعة الزيتونة والبعض  
يلتحقون بجهتي الكنائس بالساحل أو  
بمنطقة أم ذويل بمول تميم لزيادة إتقان  
الحفظ وإجادة علم القراءات والبقية  
من الحفاظ يشتغلون مؤدبين في القرى  
المجاورة لسليانة كالوسلاتية وبوعرادة  
وبرقو التي كانت تابعة لسليانة.

كما يتوزعون بالجهات الفلاحية  
بأطراف سليانة إذ أن من عادة كبار

الفلاحين أن يستأجر أحدهم مودبا يدفع له الأجر ويقيم له كتابا بضيعته يياشر فيه تعليم أبناء الفلاح وأبناء أقاربه وأحواره بدون مقابل والقليل من الناس من يلتحق بالعاصمة ليدخل ابنه للمدارس العصرية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وظهور ما أدخلته من تأثير بفضل انتشار الإذاعات والاتصالات صار الناس متعطشين لتعليم أبنائهم في المدارس العصرية.

وفي نطاق الجهود التي بذلت لتوفير معاهد التعليم توفقت لجنة من التونسيين الأغنياء ووجهاء العروش إلى إحداث مشروع لنشر التعليم في الأرياف سموه "مدارس نشر التعليم ورفع الأمية بين العروش" وتركبت من السادة: نصر بن سعيد الذي صار وزيرا فيما بعد في حكومة التفاوض ومحمد الأخضر بن عطية وميروك بالقروي وعلي العمامي ومهدي بن ناصر وغيرهم... وباشرت هذه الجمعية أعمالها في مناطق العروش

بكامل أنحاء البلاد.

وبما أن المرحوم الأخضر بن عطية من سليانة فقد زار والذي المرحوم الشيخ صالح الهادي بمكتبه بسليانة (يشتغل فيه بالإشهاد) وذلك كعادته في كل يوم خميس إذ كان يعز والذي ويأنس إليه باعتباره عنصرا يعتمد عليه محليا في تحقيق المشاريع الخيرية.

وقر رأيهما على أن تكون المدرسة المنوي إحداثها ضمن مدارس المشروع ابتدائية وهما مبيت لكي يسهل على الفلاحين الذين يقطنون خارج المدينة تعليم أبنائهم دون ضرورة الانتقال للمدينة وما ينجر عنه من إهمال فلاحتهم.

وتولى والذي الأمر فدعا أهل الرأي من أولاد عون وعرض عليهم المشروع وفوائده فاستحسنوه وتألفت لجنة من ذوي الوجاهة والتأثير والمال منهم الشيخ عبد الستار بن عبد الملك بصفته رئيس والشيخ علي بن ابراهيم بصفته كاتب عام والباقون أعضاء منهم المرحومين الشيخ أحمد الزكراوي

الناس فيواصلون التبرع وهم آمنون على أن المشروع ينجز.

وعندما علم المرحوم نصر بن سعيد بهذا الخلاف قال أنا أحل المشكلة أعطيكُم المليونين من الفرنكات حالا وأنا أسترجعها من السيد محمد

الأخضر متى أراد وعند ذلك زال الخلاف وتراضى القوم وأمدهم السيد محمد الأخضر بالمبلغ وسار العمل حيث تبرع كبار الأغنياء بمبالغ هامة ومنهم الشيخان عبد الباقي وعبد الستار بن عبد الملك.

والأخوان محمد وحسين بن فرج وبقية أعضاء اللجنة وغيرهم من كافة المواطنين.

ومن حسنات هذا المشروع أن التلاميذ البياتة يدفع أولياؤهم مساهمة يسيرة وضعفاء الحال يقيمون بجانا وتدفع عليهم الجمعية الخيرية بالمنطقة أو ما يجمع من المحسنين.

وفي بداية الاستقلال تولت الجامعة الدستورية بسليانة ورأسها الشيخ عبد القادر زروق ويشغل المرحوم عبد

والسيد حفناوي بن عطية والعدل ضيف الله بن ضوية الذي تبرع للمشروع بمساحة هكتار كامل من الأرض الذي أقيمت فيه المدرسة بأقسامها ومبنيها وساحتها المرحوم والذي صالح الهاني. وشرعت اللجنة في العمل.

وكتشجيع من المرحوم محمد الأخضر بن عطية وعد اللجنة بأن يضع على ذمتها تبرعا بقيمة مليونين من الفرنكات والحق أنه كان مغرما بنشر التعليم ومن تبرعاته المعروفة مبلغ مليونين من الفرنكات للحي الزيتوني بتونس وألفين من الفرنكات للمدرسة البنت المسلمة الكائنة بمدخل لمج السراجين بتونس العاصمة.

ولما طلب منه دفع المبلغ أجاب اللجنة ( وذلك من باب تحفيز اللجنة على مزيد بذل الجهد في تجميع التبرعات ) إذا واصلوا البناء للسقف وهنا وقع إشكال صغير بينه وبين اللجنة فأعضاء اللجنة يرون أن يدفع المبلغ حالا ليعملوا البناء ويشاهده عامة

المختار بن عبد العزيز بن عمار حفلا  
دعا إليه كافة السلط والاطارات  
والمواطنين وذلك بتاريخ : 2 جويلية  
1994 .

وكنت أنا من ضمن المدعوين  
فساهمت بالقصيد الآتي :

### مدارس النصر

مدارس النصر في الأرجاء تنتشر  
وهذه أمها بالسبق تفتخر  
لقد أراد لها من أسسوا أسسا  
بأن تشع ضياءا ليس ينحصر  
بأن تحضر للأجيال عددا  
كي تلحق الركب في عز وتقتدر  
كان البناء سراعاً في تبرعهم  
ويجهدون فلا يخل ولا حذر  
وكل ذا ليصير العلم عن كتب  
تغطي به نخبة للمال تفتقر  
جاء الرجاء وهذا حلمنا برزت  
منه البشائر إن الربع يزدهر  
فكم من طيب تلقى قرب قريته  
مبادئ العلم لولا العلم ينغمر  
وكم مرب وكم من بات مقتدرا  
له الكفاية في الأشياء يبتكر

الحמיד الهاني في آن خطة كاتب عام  
الجامعة الدستورية وكاتب عام للإتحاد  
الفلاحي بسليانة الشروع في تأسيس  
المدارس بالمشيخات وحدثت تنافسات  
حتى أن بعضها تأسست بها أكثر من  
مدرسة وقد ذكر لي المرحوم أخي  
عبد الحميد الهاني أن اللجنة أشرفت  
على تأسيس أربعين مدرسة بمنطقتي  
سليانة وبرقو.

وهكذا نشطت حركة نشر التعليم  
بناء عشرات المدارس التي تخرج منها  
العديد من الإطارات العليا من أساتذة  
جامعيين وأطباء وإطارات متوسطة  
وما دوماً وصار يحق لنا أن نقول  
لحققت سليانة بالمركب وساهمت في  
غضة الوطن كما ساهمت في حركة  
التحرير التي نظمت فيها قصيدا طويلا  
يتجاوز السبعين بيتا نشر بجريدة  
الشروق سنة 1993 .

وعند بلوغ مدرسة النصر المسماة  
الآن "مدرسة شارع الجمهورية" والتي  
أسستها اللجنة كما سلف بسطه سن  
الأربعين أقام مديرها الحازم محمد

نحنا نقدر جمعا طاب سعيهم  
 يمثل فعله روح البذل تنتصر  
 من لم يشد بجميل الفعل يحتضر  
 وينهض الشعب إذ تركوا حضارته  
 فذاك يحفر في الأشبال همتهم  
 فيشربوا من معين ليس ينحسر  
 وذو نحية ذي الجليلين قدمها  
 ويغتلبوا أطرا في كل متحه  
 يرجو القبول لما يلقى ويختصر  
 ويرفع شأن أهل منهم اشتحروا  
 إنا لنشكر من أحى تذكرنا

يرتقي البشر التلمودي قصاصا بالتحربة المعيشة من المكابدة اليومية إلى المستوى النصي الإبداعي. ويتلاقى النص الإبداعي عنده، مع نصوص نماذج ليحتويها ويولد الجديد.

وليس سهلا أن نياشر نصوص التلمودي إذ يملك زادا إبداعيا امتد أربعين سنة ونيف، وهي تجربة لم تشر غير نصوص متناثرة في الصحف اليومية (الشعب - الحرية) وبعض المجلات وبقيتا نلث وراء النص الجامع ولم يأت (2). لذلك حاولنا بهذه المقالة أن نعرض المبدع على التنوير، بعدما التقينا صدقة في محاضرة بالمكتبة العمومية بالدندان حول الروائي: صالح التمس وروايته، الرواية (3) أطلعنا على بعض نصوص وبدأنا البحث وأزعمنا على الثورة معا. وهي ثورة نغالي إن قلنا نحن أول من أقمه جلوسها، ولكن كان إصرارنا واضحا حتى نذكر الكاتب - بعدما اشتعل الرأس شيئا - أن الإبداع الحقيقي يجب أن يكون له صخور تردده، أي أن رأسه القاري ووسائله التراكم.

ربما ما عاشه الكاتب من نواب الدهر يدفعنا للنظر إليه باحترام ومنها إلى مواخذته على بعض القصص القصيرة والمضات بعارته، لأن مثل هذا النوع من الكتابة لا يصلح في وضعه الإبداعي إذ نجد بعض قصصه خالية من أركان السرد الأساسية، ربما يعزى ذلك لغلبة عنصر "الأنا" على تجربته الإبداعية، وربما يعود إلى الخلل في الساحة الإبداعية وقد يكون القاري نفسه له ضلع في هذا العزوف عن الكتاب حتى أنه مسخ إبداعيا.

## " المخزن "

و النتائج الاجتماعية و النفسية

لمؤسسة "حرس جبائي" تونسية

فساد نظام مخزن اللزامين بالبلاد التونسية في أواسط القرن 19 م

-1-

بقلم : الأستاذ محمد بن الأصفر

تصدير :

إن هذا البحث كان في الأصل قدم على منبر جمعية قدماء المدرسة الصادقية، يوم 24 جوان 2004 كخاتمة لنشاط الجمعية للموسم الثقافي الماضي 2003 - 2004.

و كانت المناسبة هي تقديم كتاب "جنيم الإلداد" في نازلة الوزير بن عباد" للجنرال حسين<sup>(1)</sup>، في صيغته الواقع تحقيقها من طرف الأستاذين الشيباني بلغيث، مدرس التاريخ بكلية الآداب بصفاقس، و فتحي القاسمي مدرس الحضارة بالمعهد العالي للغات بتونس العاصمة.

على أننا هنا نكتفي بعرض الجوانب التاريخية التي أوحى بها القضية العدلية، موضوع الكتاب، و التي كان باشرها الوزير حسين باسم تونس ضد اللزام محمود بن عباد.

أما الجوانب الأخرى، فإننا نكتفي بالإحالة على البعض منها و التي كنا خصصنا له مقال تحت عنوان : " حول ادعاء محمود بن عباد<sup>(2)</sup> بأن له في ثروة نسيم شمامة نصيبا"

و قد كنا تولينا نشره بجمريدة "الصباح" التونسية، منذ عامين.



و الملاحظ، أنه عند إلقاء هذا البحث كاملا على مسامع الحضور، عبر الأستاذ م-ي عن تملله، مربكا المحاضر، لينفجر في النهاية، و ليغادر القاعة، و لم يتبعه في ذلك إلا نفر واحد، أو نفران على أقصى تقدير، و قد تابع الحاضرون المداخلة كاملة، ليعبروا على موقفهم منها في النهاية بالتصفيق.

أولا : الأسباب الموضوعية لظهور المخزن :

لم تكن الوظائف الحكومية للدولة تعني التنمية الشاملة أو غير الشاملة، فقد كادت تقتصر على الجانب الأمني بمعناه " الكلاسيكي " غير الشامل، حتى أن أدب " الإخبار/ LA CHRONIQUE » المتمثل أساسا في مذكرات المثقفين (العلماء بالمعنى الديني)، و الوزراء والكتاب (كتاب الإدارة) كان يزخر بعبارات من قبيل قولهم " و من مآثر هذا الأمير، انشاؤه للمكتبة الأحمدية"، كما يلاحظ ذلك القارئ مرارا و تكرارا وهو يطالع هذا الصنف من الكتب على غرار " إتحاف أهل الزمان... " لأحمد ابن أبي الضياف (1-3) أو " الكتاب الباشي" لحمودة بن عبد العزيز أو "ذيل يشائر أهل الإيمان" لحسين خوجة ... الخ فلكان ذلك الباي (الأمير) قد تفضل على الرعية بإعجاز " عمل تجهيزي" أو " مرفق " احتسابا لوجه الله الكريم .. أو منا منه (من الأمير) على رعيته.. فاستحق على ذلك الشكر و الثناء ... وربما " تقبيل الأيدي".

و لقد تكفلت "الأوقاف"، وهي الصدقات الجارية بالكثير من أعباء المنشآت العمومية من مدارس العلم و"المرستانات" وغيرها... وإن كان الأمراء أنفسهم و الحق يقال يساهمون في تحييس العقارات على المساحد و الزوايا و غيرها من المنشآت العامة... وكتاب "تونس، مدينة عثمانية" (بالفرنسية)، للأستاذ أحمد السعداوي، يزخر بقائمات الأوقاف المرصودة لهذه المنشأة، أو لتلك (6) و منها أوقاف تبرع بها أمراء... (7)

وإذ لا يخاري رأي الأستاذ "توبي -أ- هوف T-E-HUFF القائل بأن

شروط المحبس لإجراء الأوقاف من شأنها أن تقيد نمو العلوم و تطورها نحو الأفضل<sup>(8)</sup>، فإننا نرى أن تلك الأوقاف مهما عظم شأنها غير كافية لتعويض الجهودات التنموية للدولة التي كاد دورها ينحصر في جمع الجباية لتحقيق هدفها في "الأمن" بمعناه الضيق، والآتي... والتكتيكي، غير الاستراتيجي... فضلا عن كون دوائر الأمن المراد تحقيقه هي دوائر أمن الأسرة الحاكمة، مرادية كانت أو حسينية. أو غيرها إلا أنه قد كانت تونس عرفت، بمحالات اقتصادية صنفها الكاتب أحمد ابن أبي الضياف (1802 م - 1874 م) إلى قطاعات، هي الفلاحة، و الصناعة و التجارة و كذلك إلى قطاع "خدمات السلطة" و ذلك بقوله "الإمارة".

فما هي هذه القطاعات الاقتصادية، بما فيها قطاع الإمارة ؟

و ما هي علاقتها بالسلطة المركزية و الجهوية ؟

و من كان ينهض بها عمليا ؟

ما من شك في أن الأفراد و الجماعات، و هم "الأشخاص" هم الناهضون

بقطاعات الفلاحة، و الصناعة (صناعة تقليدية) و التجارة...

إن القطاع الذي أطلق عليه ابن أبي الضياف لفظ "الإمارة" والذي هو في

الأصل من أخصر خاصيات السلطة العمومية "سلطة الباي" و قد عهد بها إلى

جماعات و حتى إلى أفراد، وهو قطاع استراتيجي باعتبار أنه من المفروض أن يعد

استثمارا على المدى الطويل من شأنه أن يوفر المداخيل إلى للميزانية العامة للبلاد

فيكون في خدمة المجموعة...

### أولا : 1) "القطاع الأميري" و "المخزن"

لقد مر "المخزن" بمراحل، نلخصها في إطار هذا البحث فنختزلها في نوعين

كبيرين، هما "مخزن القبائل والعروش" و "مخزن اللزامين".. وهو امتداد لمخزن

"القياد" و "العمال" الذي بعثه، أساسا حمودة باشا المرادي (1631م - 1666م).

و لكن كنا تحدثنا عنه في جزء منفرد فإننا نذكر بعجالة بما يلي :

أ) ان مخزن العروش<sup>(9)</sup> و القبائل هو اتفاق بين السلطة العمومية من جهة أولى، والقبائل و العروش من جهة ثانية يتبادل فيه الشقان المنافع و العلاقات الهادفة AFFINITES، فالسلطة العمومية تتخلى عن عبء ارغام القبائل الرافضة لدفع الجباية لها تتخلى عن ذلك العبء لفائدة قبائل موالية لها (أي موالية للسلطة)... تأتيها بمنأى الصافي من مداخيل تلك الجباية، و القبائل لا تكفي بأخذ نسبة من تلك الاداءات، و إنما تعفى من المحي الذي من المفروض أن تؤديه للسلطة، كما أنها كانت تققطع الأراضي الشاسعة و قد تجمع كل هذه المزايا ... وذلك حسب نظام متفق عليه... الخ...

ب) أما " مخزن اللزامة" فهو أيضا اتفاق بين السلطة العمومية من جهة، و"أفراد" من أعيان الادارة المركزية أو الجهوية أو المجتمع على الاضطلاع بمهمة هي في الأصل من خاصيات السلطة العمومية، التي تتولى اسنادها لولا تلك الأفراد مقابل عائد مالي للسلطة العمومية فهي "لزمات اقتصادية" وهي أيضا "لزمات إدارية" وتحديدًا "لزمة اسداء خدمات عمومية" يرتفع فيها " الطابع الاداري" إلى مرتبة " السيادة" لا إلى مجرد مرتبة المرفق العام الاجتماعي(أو المشترك COMMUN) كما سنرى ذلك في الإبان.

و إذا كان مخزن " العروش" و القبائل قد تدني شأنه عبر العصور، وهو في الحقيقة لم يكن قويا في البلاد التونسية، بالمقارنة مع ما كان عليه في المغرب الأقصى، حيث إن كلمة "مخزن" قد صارت تدل هناك على " الدولة" <sup>(9)</sup> والحكومة <sup>(9)</sup> بكثير من التداخل بين حدود المؤسستين المذكورتين (الدولة والحكومة) فإن " مخزن اللزامين" قد علا شأنه في تونس خاصة بداية من طالع الاربعينات من القرن التاسع عشر...

### A-1) مخزن " أعيان الإدارة"

لم فكن كل أفعان الاءارة من قففل الوزراء وكفراء الكئاب؁ مثل الوزفر فوسف صاءب الطابع (توفف 1230هـ-1815م) الالف فجمع ثروة هائلة من التاءارة الالال<sup>(10)</sup>؁ أو مثل "سفة" الالف قام بفقه قبل أن ففءفه إلى الباف؁ وهو العامل بكار الالولف (و: 1799م-ت: 1826م)<sup>(11)</sup> والالف قد فكون هو الالف أفر ففه؁ وفف أصفاءفه؁ مثل أفف عبء الله محمد اللوز (الصفاقسف)<sup>(11)</sup> فساروا على أسلوبه فف الاثراء عفر العمل و إبرام الشركاء التاءارة الالال<sup>(11)</sup>... ذلك أن أفعانا كثرفن من داخل الإاءارة؁ ومن آارآها قد جمعوا ثروات طائلة على آساب المجموعة وبفضل تولفهم للآزمات الاقتصاءفة وهو أمر شبه عاءف؁ ولكن من تلك الآزمات ما كانت إءارة و"أمفرفة" وهو الأمر فر العاءف؁ واللاف للانفباء لأنها آلل على أنه هناك آالة آلفف عن السفاءة (Abandon de souveraineté) من طرف الدولة لفافءة الأفراد ففف "أولفكارشفا" L'Oligarchie مقابل المال.

و قد كان المؤرخ آحمد ابن أفف الضفاف؁ قد ساق شبه قاعءة تاريخفة ذات بعد اقآصاءف فؤكد على الترابط العضوف والوظففف المفن بفن القآاعفن الاقآصاءف والسلطوف الالف؁ أفف الأمفر؁ آفآ قال : "آالب المسآلزمفن من العمال"<sup>(3-1)</sup>

### 1-B): فف الباءة : لزمة " الولاية" أو " القفاءة"

فءو أن حموءة باشا المرافف ( ولف 1631 م - 1666 م) قد كان أول من نصب العمال و قد عرفوا أكثر ب " القفاء" وهم ولاة الالف (12)- و (13) و قد كان العامل رؤفسا عسكرفا على قمة هرم أساسه عءء من الفرسان التافعن لقبفلفه و فعرفون باسم الزمالة<sup>(12)</sup>

و للعامل صلاآفآ (أمنفة) و آباففة كما سنرى ذلك ففما فلف :  
فلقد اسآشار حموءة باشا الآسففف (هما سمفان Homonymes آءهما

مرادي و الثاني حسيني) ( و لي من 1777 م إلى 1814 م) وزراء لإيجاد حل لمسألة جمع المجاي... فكان وزير القلم حمودة بن عبد العزيز (توفي 1202 هـ - 1787/88م) قد صور له البلاد كبقرة ما انفكوا هم جميعا، يحلبونها رغم ضعف بنيانها.... و قد اتضح من كلامه أن العامل (أي: القايد)، كان يدفع للدولة مقابل انفراده بالسكان و سلبهم أموالهم... كان يدفع لهم الهدايا من معدني الذهب و الفضة أحيانا، و في شكل رؤوس بقر و أغنام أحيانا أخرى، و حتى في شكل الثياب الملبوسة و المواد المختلفة.

و أنهى حمودة بن عبد العزيز اقتراحه بضرورة مراجعة حسابات العمال و بعدم تسميتهم إلا بعد أن يدفعوا للباي مقدارا ماليا" (12)

و قد اقترح حمودة بن عبد العزيز، أن يتولى يوسف خوجة ( هل هو نفسه يوسف صاحب الطابع)؟ تنظيم مسألة بيع هذه اللزمات، أي بيع " الولاية" للعمال و ذلك بشكل واضح.

و قد أصبح ثمن لزمة الولاية التي يدفعها القايد يسمى " الاتفاق" (12)

و لم تكن " الصفقة" تعقد بشفاافية في أول أمرها، بل إن شأها قد ظل سرايا بين الوزير و المترشح للخطبة (12) (خطة قايد)... و يتقاضى الوزير بموافقة الباي، مقابل ذلك الإتفاق عند إبرام الصفقة جعلاً يسمى " اللفظية" .. (12)

و قد أمكن لبيت المال أن يتغذى بمبالغ مالية مهمة بفضل هذه " الصفقات" و كان ذلك أيام الوزير المصلح يوسف صاحب الطابع (12)

و كانت عائدات خطة "العمالة" ترسم في دفتر خاص بها، وهو " دفتر السراية" المستقل عن دفاتر كل من خزنندار و باش كاتب و عن كل الدفاتر المخصصة من طرفيهما عادة للمجاي (12).

و لقد اغرط أعوان " العامل" من " خلفاوات" (المفرد : خليفة)، و مشايخ تراب " المفرد : شيخ تراب) في عملية النهي و في وقت ما أصبح " قايد لوغا"

بتوسط بين هؤلاء الأعوان و العامل في المسألة الجبائية (12).

و قد تطور الاتفاق إلى مبلغ، 600 ريال يدفعها المترشح لخطّة عامل أو عامل من الرتبة الثانية و كان ذلك بمقتضى أمر 12 شعبان 1282 هجري/31 ديسمبر 1865 م (14).

وفي تلك الأثناء، و بداية من طالع القرن التاسع عشر ميلادي تطورت مؤسسة القيادة، و لم تعد ولاية على العروش فقط، وإنما صارت ولاية على منطقة توابية معلومة الحدود، فضلا عن كونها قد بقيت أيضا كولاية على قبيلة (12).

و إذا كان الخلافات و المشايخ قد ظلّا دائما من مساعدي العامل، حتى وهو وال على جهة تربية. فإنه قد أنشأ سلك جديد في صفوف القوى العامة لتنفيذ أوامر العامل وقراراته، وهو من فرسان، يعرفون بالمخازنية (المفرد: مخازني) (12) بينما كنا رأينا أن الزمالة، هم أعوان العامل في إطار الولاية على العروش... <http://Archivebeta.Sakhrir.com>

و كان العامل لا يتلقى أجرا عن عمله كموظف من الدولة، و إنما و بصفته صاحب " لزمة" (أي : لزام)، فمن حقه أن يقتطع من الدافعين للمحايي مباشرة نسبة خمسة بالمائة (5%)، لخاصة نفسه (14) عدا ما كان يجنيه منهم من المعاليم الأخرى التي تعود له وحده مثل معلوم " القباضة" (14) و المعلوم المدفوع على "التوصيل" (أي : الوصل RECEPISSE) (14) و كان ذلك قبل انتصاب الحماية الفرنسية بالبلاد التونسية.

وفي الأرشيف الوطني عدة وثائق تتصل بمحاسبة العمال على الأداءات، وهي تخص ما قبضوه عن الخطايا (المفرد:خطية)، والدوايا، و العشر، والمشتري، والبشعاط (خبز)، و السمن (سنوات 1737 إلى 1745 الدفتر 1762)... (15)، والأداء المرتب على السكان (سنوات 1774 إلى 1776/الدفتر 1772) (15)،

و الادعاءات المقبوضة عن المنطقة التي يشرف عليها العمال، مثل الأعراض ودريد (لسنتي 1847 و 1848 / الدفتر 1781) <sup>(15)</sup> و الزيت بالمنستير (سنوات من 1837 إلى 1852 / الدفتر 1783) <sup>(15)</sup> الخ...

و من الصور البشعة لتصرف العمال (القياد) و بطشهم لأكراه العروش والجهات على دفع الجبى، ما جاء في رسائل الجنرال الحسين (1820 م-1887 م) إلى الوزير خير الدين (1822م-1889م) وهو في اسطمبول حين كان يشغل خطة صدر أعظم (الوزارة الكبرى) من أن عامل (قايد) الجريد، محمد المرباط قد حارب دشرة بنفزاوة ( الجنوب الشرقي للبلاد) التي امتنع أهلها عن أداء الجبى، لأنهم لم يدفعوها منذ العهد الحفصى <sup>(16)</sup>،،، فقتل العامل مائة وعشرين من رجالها، و قد قتل سبعون من رجال العامل في المقابل <sup>(16)</sup>... و كان الأمير (الباي) قد غضب، لأن القتال لم يكن بأمره، ولا هو قد كان علم به و كان ذلك سنة 1296 هجرية (1879 م) <sup>(16)</sup> أي قبل انتصاب الحماية الفرنسية بستين فلا عجب أن يكون قنصل فرنسا، تيودور روستان TH Roustan (تولى في تونس من 1874م إلى 1881 م) يعمد إلى الصيد في الماء العكر، فيحرض العروش على الباي، قائلا لهم "لذيذ الخطاب" <sup>(16)</sup> كما يقول الوزير حسين، واعداد إياهم بالتدخل لفائدتهم وتخليصهم مما يمكن أن يلحقهم بهم الباي وأعدائه مما اعتبره " مظالم " ... كل ذلك سعيا منه، و باعانة مصطفى بن اسماعيل (1850 م - 1887 م) لإدخال تونس تحت الحكم الفرنسي <sup>(16)</sup>، مستعملا كل أنواع الفتن... <sup>(16)</sup>.

و ها أن العمال (القياد) يساهمون في إرباك أوضاع البلاد، وزعزعة أمنها، تسهila المهمة الاستعمارية و ليس في توطيد الأمن و مناعة البلاد، لأن السلطة المركزية (الباي) هي التي تخلت لهم عن السيادة.

و قد ظل " القياد " على هذه المذلة في علاقتهم مع السلطة العمومية، وهي

مترلة قائمة على عقد " CONCESSION " و FERMAGE الذي يشبه في تكييفه القانوني عقد المقاولة ENTREPRISE " رغم أن محتواه، هو ممارسة شيء من أوجه السيادة ... وهكذا إلى أن احتلت فرنسا تونس، سنة 1881 فاقترب " القياد " من صميم " الوظيفة العمومية "

ففي عهد الحماية و تحديدا خلال سنة 1889، صارت للعامل في خصوص صلاحياته الجبائية مترلة إدارية أكثر وضوحا، أو أقل اقتضاها، وهي خطة محاسب عمومي Comptable Public و ذلك بالنسبة للمحاسب المتحصل عليها من التونسيين و الجزائريين <sup>(14)</sup>، الخ، على أن القباض الفرنسيين، هم الجباة بالنسبة للأوروبيين جميعا (أمر 13 جويلية 1889 - الفقرتان I و V) <sup>(14)</sup>.

وفي نفس المناسبة صار العمال خاضعين لمراقبة دائرة المحاسبات LA COUR DES COMPTES <sup>(14)</sup> بعد مرحلة أولى كانوا خاضعين فيها لمراقبة سلك التفقد المالي التابع لمدير المال الفرنسي بتونس، فقط، و كان ذلك بموجب قرار هذا الأخير المؤرخ في 02 أكتوبر 1884 <sup>(14)</sup>...

و منذ سنة 1885، اعترف القضاء الفرنسي بأن وظيفة " القياد " هي مرفق عمومي، كما اتضح ذلك من الحكم الجناحي الصادر عن المحكمة المدنية الفرنسية بتونس الصادر في 13 مارس 1883 <sup>(14)</sup>... و ذلك مقابل ما سيتقرر بمقتضى أمر 12 ماي 1906 من تبعات عدلية تلحق العمال الذين لا يتولون الوثائق المحاسبية بالدفاتر الخاصة بها. <sup>(14)</sup>

و بعد استلزام العمالة، وقع استلزام القطاعات المالية والاقتصادية.

### 1-C) فكرة عن تاريخ اللزومات المالية الاقتصادية و الخدمية

يجمع المؤرخ أحمد ابن أبي الضياف، من سنة 1255 هجرية (1840 م)، أول سنة ظهر فيها لزامون مسلمون في بعض القطاعات مثل لزمة " دار الجلد"، و قد رثا حال هذه اللزمة و اللزومات عموما بسبب سوء تصرفاتهم، مثنيا على من



سبقوهم من الزلازمين اليهود (!) الذين مهما أساؤا التصرف - حسب رأي ابن أبي الضياف - فلنهم أحسن حال من الزلازمين المسلمين ؟!؟! (3-أ) فمن هم لزمو العهد المرادي، و لزمو ما قبل سنة 1840 م ، من العهد الحسيني؟

يضيف ابن أبي الضياف أنه في تلك السنة 1840 م أو 1841 م ( المقابلين لسنة 1255 هـ)، أنشأ الباي لزمات، الصابون (بنوعيه الطري، و اليابس)، والصاع، والمحصولات (مثل المكس المرتب على باب البحر بالحاضرة) (3-أ)

و يفهم من كلام ابن أبي الضياف أن أول لزام مسلم عصرئذ هو أبو عبد الله محمد بن عياد (3-أ) الذي اسند له، أو إلى أتباعه في قابس ( بلاد الأعراض) تلك اللزمات، فلقد ظفر محمد بن عياد، بلزمات اللزمات الصابون و المحصولات و الوكالة على قبول الأعشار من قمح و شعير (وهي رابطة الطعام بالجبل الأخضر) (3-أ)

و كان أن حقق محمد بن عياد أرباحا طائلة من تلك اللزمات، إلى درجة أن اشترى بفضل تلك الأرباح " مركبا بخاريا" أو " فابور VAPEUR"، وهو حسب ابن أبي الضياف أول " فابور" تونسي، و قد أهده ابن عياد إلى الباي الذي أطلق عليه اسم "ابن زياد" (3-أ) و (17).

و بعد عام، واحد و في عرض ساحل بلدة المعمورة بالوطن القبلي انكسر ذلك المركب البخاري، و كان قافلا من جزيرة مالطة إلى تونس (3-أ).

و يبدو أن اللزمة، كانت اتخذت - على الأقل شكليا- صورة التصرف القانوني الذي يريد أن يتظاهر بكونه سليما، و ذلك لوقوع اعتماد أسلوب "المزايدة العلنية" المتوخاة لضمان شفافية الصفقات العمومية... فحين فاز محمد

بن عياد بلزمة دارالجلد (3-أ) سنة 1841 م عقدت بته "مزايدة"

ADJUDICATION بالمكان المعروف بـ " حلقة النعال" (3-أ)

و كانت أول مرة يفوز فيها مسلم بهذه اللزمة (دار الجلد)، و قد بذل ثمنا

مرتفعاً قدره 7 آلاف ريال،<sup>(١-3)</sup> بعد أن كانت أسندت لمن سبقه من اليهود مقابل 3 آلاف ريال<sup>(١-3)</sup>، أي بأقل من نصف الثمن الجديد !!<sup>١</sup>

و سترى أنه هناك من يتساءل عن تحقيق الأرباح من خلال اللزمات مرتفعة الثمن، تساؤلاً إنكارياً و موجهاً به أصابع الاتهام...<sup>(١)</sup>

إلا أنه، و رغم كل شيء فإنه لا بد من الإشادة بمحاولة توخي الشفافية القانونية في إسناد الصفقات العمومية LES MARCHES PUBLICS، وفي إسناد اللزمات LES CONCESSIONS، ولو شكلياً وصورياً، ذلك أن هذا الأمر قد حدث قبل الاحتلال الفرنسي بحوالي أربعين عاماً، و نظراً إلى أن النظم الإسلامية لم تنص على الصفقات العمومية فضلاً عن التنصيص على كيفية تنظيمها :

### **1-D) الصفقات العمومية بين النظم الإسلامية و القانون الفرنسي**

قد يبدو من الغريب الحديث عن الصفقات العمومية في النظم الإسلامية... لكن يبدو أن " بيت مال المسلمين " بإمكانه إسناد نوع من " اللزمات " للأفراد، كما كان ذلك قد حدث في الماضي ولو أن الأمر يقتصر إلى الكثير من الواضوح. لقد وجدت مهنة تسمى القبالة، وهو من تقبل العمل لما يلتزمه الإنسان من عمل ودين و غير ذلك...<sup>(١٨)</sup> و يبدو، أن القبالة، قد كانت فعلاً، لزمة على " الأداء على الملح... " وغيره من المواد في النظم الفرنسية التي اقتبست اللفظ عن الإيطالية، التي اقتبسته بدورها عن اللغة العربية عبر الأندلس<sup>(١٨)</sup> و لا يمكن أن يوجد المصطلح اللغوي إلا لأسباب وظيفية واستجابة لحاجتها .

لكن هل يجوز ذلك شرعاً ؟

إنه على المستوى السياسي، فإنه في عهد هشام بن عبد الملك (ولي من 105 هـ إلى 120 هـ) وقع الفصل بين الشؤون الإدارية و العسكرية من جهة، والشؤون المالية من جهة أخرى فوق تخصيص الأمر بالوظيفة الإدارية والعسكرية

(19) و اختص شخص آخر، وهو "عامل الخراج" بالإشراف على الشؤون المالية في الولاية، و العامل مستقر بعاصمة الولاية، و له نواب داخل الولاية و هم "عمال الكور" (الكورة : مجموعة من القرى) (19) ..

ان هذا التنظيم الأموي، قد تواصل في بدايات العهد العباسي ... فهل كان قائما على "القبالة" أي "اللزمة".

من الواضح، و حسب أبي يوسف (توفي حوالي 1802هـ/798م) وهو أول منظر لمسألة "الخراج" في النظم الإسلامية أنه لا سبيل لعقد لزمة في الإسلام (20). ذلك أنه وبموجب ما فرضه القرآن الكريم (التوبة آية 60/9)، فإن "العاملين عليها" و هم الجباة، مؤجرون، و هم أول سلك إداري جبائي بهذا المعنى قد عرفته الإدارة الإسلامية ... و لقد كان أبو يوسف صريحا في إساءة النصيحة إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد (170هـ/786م/193هـ/808م) ، هي أن لا يعقد لزمة في مادة المحبى، ميرا ذلك بطمع و حشع المحابي في إتقال اهل المؤدين للمحبى ظلما وهو ما قد يسيء لحال البلاد (20).

أما في النظم غير الإسلامية، فإن اللزما يدفع للملك مبلغا ماليا، و يستخلص الأداءات على هواه، وقد قال الأستاذ هـ-لوفانورغار/H-LAUFENBURGER، في هذا الصدد، " إن اللزما التي عمل بها في بلاد الغال لم تصنع سوى تحويل أداءات من وجهتها الشرعية وهي الخزينة العمومية، إلى وجهة غير شرعية وهي جيوب الجباة، و قد قال ذلك في كتابه " تاريخ الأداءات " (21) ...

أما عن الصفقات العمومية، فيبدو أن الممارسة قد سبقت التشريع في فرنسا، و ذلك نظرا للدور الكبير الذي لعبه القضاء الإداري (مجلس الدولة الفرنسي) في ارساء ضوابط وقواعد لتنظيم مسألة الصفقات العمومية LES MARCHES PUBLICS (22) لتأخر المرحلة التشريعية عن الممارسة العملية، ذلك أن

البرلمان كان يقنن قواعد، الصفقات العمومية، على وقع ما يصدر من فقه قضاء عن مجلس الدولة.... (22)

هذا، و إن الادارة الفرنسية في تونس قد نظمت الصفقات العمومية في مناسبات مختلفة، و منها أمر 1888/7/25 (الأشغال العامة) (23) وأمر 11/ 23 1907/ (عقود التوريد)....

## ثانيا: 2) تعديد اللزمات الاقتصادية و الادارية في يد واحدة

لقد جاءت فقرات في كتاب " حسم الإلداد" (1) للجنرال حسين سابق الذكر، تدل على كبر حجم ثروات لزامة بعض القطاعات و ذلك باعتماد أسلوب الانطلاق من " الصفر" للائتهاء بالاستغراب في نهاية الأمر. فكيف يمكن فهم الفراغ المالي و التجاري الذي تولد عنه الإثراء الفاحش. و فعلا، فإنه و في ذلك التاريخ قد كان لابن عياد من التحف مازاد عن 400 ساعة حائطية (ساعة/ أثاث MEUBLES) تدل على حجم ثروته الطائلة.

ذلك أنه وفي سنة 1833 م كان محمود بن عياد غير قادر على تسديد ديونه، و قد قدرها الجنرال حسين بكونها في حدود ثلاثمائة و ثلاثين ألف ريال تونسي. (1)

و يبدو أن محمود بن عياد قدرهن كل مكاسبه و كل مكاسب عائلته ولكنه لم يقدر على تسديد تلك الديون؟ فقصد الدولة التي لم تخيب ظنه و قد دفعت ذلك الدين بالنيابة عنه؟ (1)

فما الذي حدث، حتى يطلب محمود بن عياد، سنة 1845 م، من أحمد باشا باي (ولي من 1837 م إلى 1855 م) أن يسقط عنه ذلك الدين الذي كان أعطاه مبلغه أباه، في شكل تسديد كديون لدائتيه (أمر إسقاط الدين مؤرخ في 23 شوال 1263 هـ/ 1845 م)؟ (1)

و الجواب واضح، فقبل خمس سنوات، كان الباي قد أسند عدة لزمات

لوالد محمود بن عياد، أبي عبد الله محمد بن عياد<sup>(3)</sup> الذي مهما أظهر من عداء تجاه ابنه فهو لا يمكنه أن لا يتدخل لفائدته لدى الباي بموجب علاقة الأبوة.

فالجنرال حسين، لا يصدق أن فترة اثني عشرة عاما، قد كانت كافية لكي لا يخرج ابن عياد من وضع الإفلاس فقط، بل و لكي يكون ثروة جديدة انطلاقا من اللاشيء فهل يكفيه انتسابه للمخزن و للوزير مصطفى خزندار ليقف من جديد على قدميه وكقائمة مالية فارعة<sup>(1)</sup> (و قد كان شبحا مالي هزيلا)

لكن، لننصت إلى تحليل الأب أندري ديمرسمان A-DEMEERSEMAN الذي معناه أن العائلة الحسينية قد صنعت المجتمع التونسي، في القرن التاسع عشر ميلادي قطعة بقطعة CREE DE TOUTES PIECES...<sup>(25)</sup> و ذلك خاصة بالنسبة لطبقة "الموالي" و "المماليك"<sup>(25)</sup>

وهو يقصد، بذلك دعمها للعائلات الذين شكلت منهم "المخزن" و لذلك فقد تطور مفهومه الأولي، فصار، كما صنف ذلك الأستاذ الكراي القسنطيني مخازن<sup>(26)</sup> بحسب الأختلاف، و ذلك بحسب قطاع النشاط الاقتصادي، لا بحسب الانتماء إلى قبائل و عروش معينة كما كان الأمر في بدايات المخزن، مع قبيلة "الكعوب" في العهد الحفصي<sup>(9)</sup>، و ما تلا ذلك من التطورات... و ربما إلى أن ظهر المخزن المرادي لحمودة باشا كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

فالعائلات المخزنية في إطار هذا التطور الأخير لمفهوم المخزن، هي عائلات "تشتري" لزمات القطاعات الاقتصادية من الدولة، مثل دار الجلد، أو الكوشة أو الغرفة، ... وكما تشتري، أيضا، ما قد يكون ابن أبي الضياف، قد عبر عنه بالقطاع "الأميري"، وهي خطط "آغاوية الأوجاق" وهي رئاسة حاميات شبه عسكرية متنقلة خلف قبائل الرحل في الشمال الغربي خاصة<sup>(27)</sup>، و " القيادة" وهي "الولاية" و غير ذلك ...

فهذا الجنرال رستم<sup>(28)</sup> مثلاله، يخططه ففي الإدارة المركزية، حيث كان

مستشارا لوزير العمالة، ثم وزير العمالة، و كان آغا الحوات، وهي خطة أحدثت و لكنها سرعان ما أزيلت ليعود لخطة الباش حانبه" بريقها.

و قد جمع إلى هذه الخطط " الوزيرية" خطة الولاية، فهو "قائد" أو عامل حربة ثم الجريد".... وهو لزام للقطاعات الاقتصادية الآتية، الغرفة و العمالة<sup>(14)</sup> و معلوم أنه قد كان صهر الوزير خير الدين.

و أما محمود بن عياد، فقد جمع لزمات عديدة، ذكرها الجنرال حسين وبعضها معلوم، مثل دار الجلد، و الغرفة، و الحوت، و الملح، و العلف والكوشة، و الزيت،<sup>(1)</sup> و بعضها سري مثل الحبوب فلقد كاد الاقتصاد التونسي أن يجتمع بين يدي محمود بن عياد و أعوانه (قابس) و قلة قليلة من أمثاله... بحيث لا غرابة إطلاقا في أن يثري بن عياد ذلك الأثراء الفاحش، ولعل الغرابة تكمن في موقف الجنرال حسين، الذي أحصى له ما ظهر للعيان و ما خفي عنها من لزمات كانت قد حوت على ابن عياد المائل الطائل لينتهي إلى الاستغراب من حصول نتيجة حتمية و هي الإثراء.

### ثانيا : " ما كفافالية" مخزن اللزامة و رجاله

لا نتصور أن تعدد اللزمات ما ظهر منها و ما خفي و لا تعتمد ابن عياد الاشتراك مع الأثرياء ليقع بهم و ليستولي على ثرواتهم مثلما كان صنع مع كل من الجزيري، و الفطاس، و بوعاشور، و الجمل، و بن الحاج حسين، و جواده، و الجازي، و أربعة من آل الشلي و قرط، و عبد المولى (المرزوقي)، و الدهان وغيرهم... فالرجل قد يكون قد ساهم بالفعل في تخريب اقتصاد البلاد تخريبا منهجيا و مقصودا لذاته، سواء من طرفه أو من طرف شركائه.

### ثانيا : 1 الإضرار بالاقتصاد الوطني و بالعباد :

لقد كان مخزن اللزامين على درجة كبرى من البطش فلقد الحق أضرارا بالاقتصاد الوطني و بالعباد.

و لقد كنا رأينا أن الباى قد أسند لزمة " قبول الأعشار من القمح والشعير"  
وهي لزمة " رابطة الكعام" الموجودة بالجليل الأخضر، سنة 1840 م/1841م)  
(المقابلة لسنة 1255 هجرية، إلى أبي عبد الله محمد بن عياد...)

و يعلق المؤرخ أحمد ابن ابى الضياف، هل هذه اللزمة (التي تصنف وإلى  
اليوم كقطاع استراتيجي، و غير تنافسي بحيث يجب أن تختص به الدولة، التي ما  
تنفك تدعمه على مستوى الانتاج و على مستوى الاستهلاك نظرا لأهميته  
الأمنية)، علق ابن أبي الضياف على هذه اللزمة بما يدل أنها قد أضرت بالوطن،  
وبالأفراد.

#### أ) الأضرار بالاقتصاد الوطني :

لقد كثر التطفيف في الميزان، حتى كادت فلاحه الزراعات الكبرى (القمح  
و الشعير) أن تبطل بالمرة فطبيعي أن يحجم الفلاحون عن نشاطهم بسبب  
التطفيف في الكيل فيه من طرف وكيل الرابطة مما أدى إلى خسارة الفلاحين  
ولكن الذي تضرر أيضا إنما هو الاقتصاد الوطني، فلقد قال ابن أبي الضياف أن  
الأمر قد أفضى ذلك توريد القمح و الشعير من الخارج و هو ما يتناق مع أسباب  
الاستقلال والمناعة.

#### ب) الأضرار بالأفراد و ظلمهم

لقد أمسك " عماس الزام" المسمى السلامي المدوري <sup>(3ب)</sup>، بالشريف  
محمد إدريس، حالبا معه القمح من باجة، فألزمه بأداء مكس يساوي ما كان  
عليه أداؤه لو كان اشترى ذلك من رحبة الحاضرة (تونس العاصمة) <sup>(3ب)</sup>  
و قد اشتكى المظلوم إلى الوزير رستم، <sup>(3ب)</sup>، ويبدو أن ابن عياد قد طلب  
الصفح من الشريف إدريس قبل أن ينظر رستم في الشكوى <sup>(3ب)</sup>

## حضور الذات المبدعة في شعر المتنبي

بقلم : الأزهر النفطي

الكلاسيكية بل كان إبداع الكتابة من هذه المرجعية الشعرية ومن منطلقها تشكلت جدلية الإبداع والابتكار بإضافة وتفرد لا يخلو من انصهار مع ذات النص القدم.

على هذا الأساس تتعمل في ذهن قارئ ديوان المتنبي أسئلة مشروعة بطرحها تبعاً في هذا العمل لتبيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود في هذه الجدلية القائمة لدى النقاد حول شعر المتنبي :

أ - كيف كان المتنبي يتعامل مع ثنائية الإبداع والاتباع ؟

ب - ما طبيعة الخاصيات الأسلوبية والفنية المعتمدة في إخراج الصورة الشعرية ؟

ج - أيّ بنية توخاها المتنبي في تناوله لكل الأغراض الشعرية ؟

د - هل شكّلت مدونة المتنبي قطعة مع مرجعية المدونة الكلاسيكية وهل

جدلية الإبداع والاتباع في ديوان أبي الطيب :

الموضوع : ليست صلة قصيدة المتنبي في بناء الفن الشعري القدم من جهة المعنى وطرائق الانتاج الشعري بصلة هدم وقطع بقدر ماهي صلة تقام في التغاير، كان لحضور الذات فيها الأثر البارز.

من الناحية المنهجية حدّدنا محاور هذا البحث المتعلق بجدلية الإبداع والاتباع في ديوان المتنبي في عنصرين أساسيين : أولهما نظري وثانيهما تطبيقي.

### 1- على المستوى النظري:

تشكّلت الأغراض الشعرية في مدونة المتنبي عبر رؤية مخصوصة انصهر كلّ غرض منها مع ذات الشاعر فتحسد عنصر الإبداع في الصور والأسلوب وظهرت مواطن الإضافة والطرافة لم تكن في قطعة تامة مع المدونة



تلك الخيوط السميكة الممتدة بين شعر  
المتني وبين المدونة الشعرية  
الكلاسيكية حيث كانت مصدر  
الإلهام لأبي الطيب يستوحى منها  
المعاني ويتمثلها في تجربته الخاصة  
والذاتية.

ولقد برزت حدود هذه الصلة مع  
التراث القديم في الكثير من تجليات  
المتني الإبداعية خاصة في سياق  
الاتباع على مستوى البنية النصية أين  
حافظ المتني على الاستهلال الطللي

المعروف في الشعر الجاهلي:

لك يا منازل في القلوب منازل

فأخبرت أنت وكنت منك أوائل

وفي سياق الاتباع حافظ المتني على  
باب الرحلة ووصف الراحلة ومعاناة  
السفر:

سلكت صروف الدهر حتى لقيته

على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

والمتني باستلهامه من الشعرية  
الكلاسيكية عمل على إقامة توازن  
تركيبى ومعنوي يستند إلى صناعة  
شعرية محكمة الأنساق الفنية في  
منظورها حاول الحفاظ على غرض

كانت بحق معول هدم للمألوف  
السائد في عصر الشاعر!؟

لقد عمد المتني لدى معالجته  
لجملة المواضيع والقضايا الشعرية في  
الأغراض المختلفة التي ضرب فيها  
بسهم الشاعر المبدع المتفرد إلى خلق  
توازن بين نفسيته وطبيعة المواضيع  
المتارة في شعره. وقد عمل على  
إحداث تناسق وتناغم وانسجام بين  
النفسية والصورة الشعرية بالإضافة إلى  
أحداث تناسق بين اللفظ والمضمون،

بين البنية والدلالة، بمعنى الجزالة  
اللفظية الملتحمة بمقومات الدلالة  
المعنوية وحتى وإن شذ المتني عن  
القاعدة وعمد إلى التكلف فإنه نادرا  
ما كان يتصنع الشعر وهو الشاعر  
الصنائعي الماهر البارع المتقن لفنون  
قواعد الصنعة الشعرية :

"انام ملء جفوني عن شواردها".

فالشعر هو بمثابة الرحم والمرأة  
العاكسة لعالم المتني الشعري  
والشعوري لمختلف مواقفه ورؤاه.  
والدارس لديوان المتني يدرك جليا

النسب وعلى حضور المرأة في قصائده بتلك المقاييس والمعايير المعروفة في الشعر الجاهلي وهي مقاييس جمالية يكشف عنها من خلال مدلولات الاستعارة والتشبيه...

وبالتوازي سعى المتنبي إلى المحافظة على الصور من التراث الشعري

القديم حيث تبرز ظاهرة التناص التي تعبر عن مدى تمكن المتنبي من معاني المدونة الكلاسيكية وقدرته على توظيفها في شعره:

نفذي أثم الطمر عمرا ملاحه  
نسر القلا أحداها والقشاعم  
لِكَافُورِ  
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَأَنَّهُ

فرد يقهقه أو عجوز تلطم

وعلى مستوى المعاني المألوفة في بنية الشعر الجاهلي حافظ المتنبي على الرثاء خصوصا في مستوى الفجعة.

طوى الجزيرة حتى جاءني خير

فرغت فيه بآمالِي إلى الكذب

وكان المتنبي في انتاجه لهذه المعاني يتوخى أساليب بلاغية جاهلية توصل تواصله مع الموروث الثقافي لكنه في حفاظه على معاني مدونة الشعر

كما سعى المتنبي إلى الحفاظ على البنية الجاهلية والصورة الشعرية مع المحافظة على جملة المعاني المدحية كالشجاعة والبسالة والعلم والحكمة والرأي. وهي معاني تواترت بكثافة في شعره خاصة مع الأمير الحمداني سيف الدولة :

وقفت وما الموت شك لواقف

كأنك في جفن الردى وهو نائم

فمر بك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وفرك باسم

مغايرا للقصيدة الجاهلية إذ لم يعد  
رحلة في المكان بل أصبح رحلة في  
المشاعر وأحزانه.

والوجدان كذلك العيد لم يعد في شعر  
المتني مناسبة ألفة اجتماعية بل أصبح  
ذكرى مثيرة لأشجان الشاعر.

عبيد بأية حال عدت يا عيد

بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وبالتوازي سعى المتني إلى خلق

ظواهر ابداعية في شعره على مستوى

الأسلوب كحذفة لأداة الاستفهام في

جملة "بما مضى" لتشريك القارئ في

عملية إنتاج الخطاب الشعري لأن من

سمات شعر المتني التعقيد في الصورة

الشعرية فالتشبيه على سبيل المثال لم

يعد على صورته الطبيعية:

يطأ الثرى مترفقا

فكأنه آس يحس عليلا

أما عن الليل في شعر المتني فقد

تجاوز مرحلة مفهوم الصراع مع

الإنسان ونظرية ليل المخاوف

والأهوال الذي ينوء بكله وإثما

تحول في شعره إلى جزء لا يتجزأ من

العملية الإبداعية ومن العناصر

الجاهلي لم يكن محافظا كليا تغيب فيه

ذاته وروح الإبداع لديه بل اعتمد

الموروث الكلاسيكي لتأكيد الذات

المبدعة وتجسيد عناصر الإضافة إذ لم

يتسن لأي شاعر مهما بلغت به

الموهبة والعبقرية التأسيس لقصائد من

عدم وفراغ بل يبقى مدينا لمخزون

ثقافي يتشربه ويمثله ويروم من خلاله

التأسيس والإضافة والتجاوز.

ولقد برز إبداع المتني بنيويا

ومعنويا صورة وأسلوبا فعلى مستوى

البنية سعى المتني إلى التخلي عن

المقدمة الطللية واستبدالها بمقدمة

حكيمية:

الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو الأول وهي المحل الثاني

كما استبدالها بمقدمة وجدانية:

بم العلل لا أهل ولا وطن

ولا ندم ولا كأس ولا سكن

مع التأمل والدخول المباشر في الغرض

المقصود، كما سعى المتني إلى خلق

جهاز معرفي مناف للمفاهيم المألوفة

في مدونة التراث القديم، فأدب الرحلة

عند المتني قد اكتسب معنى جديدا

وتراكيب الحصر والاستعارة وتكثيف أصوات النفي والاستفهام وتوظيف الدال والمدلول وتقريب المعاني وتكثيف الجمل للارتقاء بأدبية النص الشعري لغاية عنصر التفرد من خلال قصائد تساهم في بلورة مواقف الشاعر وانفصالاته التي تتجسد في صور شعرية مشحونة بالإبداع والطرافة، ابداعا يتواصل امتداده ليشمل الأغراض الشعرية أين تخلى المتنبي عن أحادية الغرض ليعمد إلى استغلال أكثر من غرض في القصيدة الواحدة، فالوصف مشفوع بغرض الفخر، والرثاء مشفوع بغرض الفخر، والمجاء مترامن مع غرض الفخر مخالفا بذلك ما تعود عليه قراء المدونة الكلاسيكية خاصة على مستوى اقتران الفخر بغرض المدح أين تتعاضم "أنا" المتنبي في القصائد المدحية بتفصيل نفسه عن بقية الشعراء:

أنا ترب الندى ورب القواري

وممام العدا وغبط الحمود

لا تسلم الفصحاء تشدها هنا

بيتا ولكني الهزبر الباسل

التكوينية للطبيعة، تألف مع المتنبي وأدرك الرفيعة:

الحيل واللبل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والفرطاس والقلم

وقد شكّلت المرأة في شعر المتنبي

مفهوما مغايرا للمفاهيم السائدة في مدونة التراث القديم إذ عمل المتنبي على إحداث مفهوم يضمن له طابع الخصوصية والتفرد مستعينا على تحقيق الهدف الإبداعي بطبيعة اللغوي البلاغي المتعرج فالمعجم اللغوي يفترض ألفاظا تتناسب وطبيعة المواضيع المثارة:

"فكلّ ضرب من الحديث ضرب

من اللفظ ولكلّ مقام" حسب مقولة

الجاحظ. كما أنّ طبيعة المواضيع

والأغراض المثارة تفترض معجما

بلاغيا يساهم في تحقيق شاعرية

الصورة الشعرية ويضمن مسلك

الإيقاع الداخلي للقصائد لإخراجها

من مديد الوهن إلى دائرة الوعد

وبحقّ جمالية النصوص الشعرية وهي

من متركبات شعر المتنبي الذي اعتمد

النداء والمقابلة والمفاضلة والتخيل

هذا الإبداع التي لم يكن يروم هدم  
صلته بالموروث القديم بل سعى إلى  
إحداث نوع من التغيرات تبرز فيه  
الذات المبدعة كمنتجة للخطاب  
الشعري من ذاتها واستنادا إلى النصّ

الشعري القديم في ذات الوقت...

فالمتنبّي لم يمسك أبدا مطرقة الهدم  
وإنما أمسك بلبينات البناء الإبداعي  
لتحقيق تميّز وتفرّد في عالم الشعر  
حيث أبدع من فضاء الوفاء وواقع  
الماضي منهما تمثل الموروث القديم بل

سعى إلى إحداث نوع من التغيرات تبرز  
فيه الذات المبدعة كمنتجة للخطاب  
الشعري من ذاتها واستنادا إلى النصّ  
الشعري القديم في ذات الوقت..

فالمتنبّي لم يمسك أبدا مطرقة الهدم  
وإنما أمسك بلبينات البناء الإبداعي  
لتحقيق تميّز وتفرّد في عالم الشعر  
حيث أبدع من فضاء الوفاء وواقع  
الماضي منهما تمثل الموروث القديم  
وغاص في أعماق المخزون الثقافي  
لإبراز عناصر الخصوصية والتميّز  
والدرجة الإبداعية والقدرة الشعرية

هكذا تتأكّد ذات الشاعر الفخرية  
وهي الذات المتشبّثة بأعلى مراتب  
الفخر والكمال ذات تركت أثرها  
البليغ في تحقيق إبداع المتنبّي وترسيخه  
في شعره:

إن أكن معجبا فعجب عجيب

لم يجد فوق نفسه من مزيد  
فالذات هي موطن الإبداع والطرافة  
من خلال ما يكمن داخلها من  
تضخّم..عن طريق المفاضلة والمقابلة  
والموازنة:

ولو لم تكوفي بنت أكرم واحد

لكان إبالك الضخّم كونك لي أفا  
إضافة إلى حضور معجم الفخر

ومعجم المهجاء نلاحظ حضور معجم  
الغزل في غرض الرثاء لأنّ ازدواجية  
الأغراض سمة من سمات تميّز المتنبّي في  
عالم الشعر والكلمة من خلال إبداع  
متناغم على مستوى مقطع البيت  
حيث لم يعد الروي متوحّد الحرف  
بل أصبح يقع حرفين (عوالمه،  
علاقمه). وبعبارة أدقّ برز جليا إبداع  
المتنبّي على مستوى التركيبية والمعنى

ومعانيها مع رغبة من الشاعر في التجاوز والإضافة والتأسيس لا على انقاذ المدونة الكلاسيكية بل أسسها وأركانها ودعائمها صورة شعرية سعى المتنبي إلى تأسيسها فجاءت مكتملة الدلالة والمعنى تحمل في رموزها من الحسية ما يؤكد تواصلها مع مدونة التراث القديم ومن خلال التجديد ما يؤكد إبداعها وطرافتها. صور شعرية ملتصقة بالواقع وأخرى يحكمها التشخيص والتخييل والاستعارة والتشبيه، إبداع جذوره اتباع وتحديد وقسحة عود وبدء على سنن القدمى لا قطع وهدم لما تضمنته من معاني وصور ومفاهيم وأساليب بلاغية.

فأكثر الكتاب أصالة هو إلى حد بعيد رافد من روافد الأجيال السابقة وبؤرة للتيارات المعاصرة وثلاثة أرباعه من غير ذاته. ذلك ما قاله نونسن (Nanson) في بحثه "la métho de dans les science

الذي عربه محمد منظور ونشره تحت عنوان "منهج البحث في

وذلك من خلال صياغة المعاني المستحدثة والمفاهيم الجديدة والصور الشعرية المعقدة. وبهذا الفعل الإبداعي حقق المتنبي عالمه المثالي الذي يرنو إليه ويرغب في تأسيسه، عالم خال من تدني القيم والسلوك. فهاجؤه لكافور الاخشيدي يعبر بحق عن ثورة على مفاهيم القيم السائدة في عصره، ومدحه لسيف الدولة الحمداني ولنفسه ليس سوى رغبة ملحة في ذات المتنبي للتخلي عن طبيعة الأخلاقيات السائدة

وهو الذي رأى المثل الأعلى في صورة الأمير الحمداني وفي نفسه خاصة وليست تلك المباهاة والمساواة والتأطير بينه وبين الأمير المدحوح سوى تعبير

من الشاعر عن ارتقائه إلى أعلى مراتب الحظوة والتبجيل والتفضيل.

فعالم المتنبي يبدو عالما أسطوري تأسس على لغة بليغة وعبارة جزلة وأسلوب محكم الحيك والأنساق الفنية والصنعة الشعرية هكذا يكون إبداع المتنبي امتدادا لمدونة التراث القديم وتشبها بمفاهيمها ومختلف أساليبها

يكون الحديث عن الإبداع باعتباره عملية انفصال جذرية تقطع مع الموروث القديم ولا هي إعادة استنساخ القديم وإنما هو شكل من أشكال التناص تتداخل فيه النصوص وتتفاعل فيما بينها وفقا لمقدرة الشاعر.

1- على مستوى البناء والهيكلة الخارجية:

أ - الوقف الطللي ضمن مكونات القصيدة المدحية :

بكيت يا رب حتى كدت أبكيك  
وجئت بي ويدعي لي مغاتيك

ب - على مستوى طللي في وجوه الإضافة يقع التحليل بشكل مواز:

فدينك من ربيع وان زدنا كروبا  
فلانك كنت الشرق للشمس والغربا  
وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا  
فؤادا يعرفان الرسم ولا لبي

ج - على مستوى الانزياح على المطلع الحكيمية :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم  
وتأتي على قدر الكرام المكارم

د - أو على مستوى تغيير المطلع

الأدب واللغة-بيروت 1946.

لقد طبع عالم المتنبي وكونه الشعري والشعور بميسم التميز والتفرد والتعمق في الإبداع بنيويا ومعنويا على مستوى الصور والغرض والتراكيب. فصور عالم المتنبي الشعري والشعوري لن يحكمها الإبداع فحسب بل تضافرت في صياغتها صور القديم وصور من ذات المبدع هذه الذات التي أظهرت طاقات رائعة من الخلق والإبداع جسدت حضورها في كافة الأغراض

الشعرية "فملأ الدنيا وشغل الناس".  
المستوى التطبيقي:

مراحل التحرير تحديد الموضوع والمرتكزات المرجعية للعمل

هذا الإبداع لم يأت من فراغ فلا بد من مرتكزات مرجعية تغذيه فتحدد بموجها عملية الإبداع ووجوه الإضافة فيه كأن نتحدث مثلا عن السلطة المرجعية للنص البدوي باعتباره نصا مكتملا وقع استغلال نظرية العرب في الشعر والشعرية من مقوماته فأصبح المثال والنموذج ولا

- الوجداني : القصيدة كما في قوله:  
أرق على أرق ومثلي بأرق  
جوى يزيد وعبرة تندلق
- هـ - كذلك على مستوى الاستهلال بالفخر  
أطاعن عيلا من فوارسها الدهر  
وحيدا وما قولي كذا ومعنى الصبر
- و - أو على مستوى اقتحام الغرض مباشرة كما في قوله في المدح  
3- بعد ملاحظة تداخل الأغراض في قصيدة المتنبي يمكننا النظر في الأساليب ومنها:  
أحلما نرى أم زمانا جديدا  
أم الخلق في شخص حي أعيد
- أ - أسلوب الحصر :  
ما المجد إلا السيف والفصحة البكر  
ب - على مستوى الشرط كما في قوله:  
ومن يتفق الساعات في جمع ماله  
مخافة فقر فالذي فعل الفقر
- ج - على مستوى المعجم الشعري:  
يمكننا الحديث عن معجم الغزل الحاضر في غرض الرثاء أين أبدع المتنبي في رثاء النسوة بتعامله مع معجم الغزل لخلق تداخل بين النصوص.
- د - على مستوى الأساليب البلاغية:  
أ - في الاستعارة :  
سلكت صروف الدهر  
على ظهر عزم مؤيدات قوائمه  
استعارة بمرحلة لا تميل إلى الاستعارة الحسية البصرية التي تعتبر من مقومات القصيدة القديمة. التشبيه فيها كان يقوم على تقريب الصورة من المتلقي. عند المتنبي تغير المعطى الفني فأصبحت الصورة تقوم على التخيل وهو وجه من وجوه الإبداع.
- ب - على مستوى التشبيه البليغ وحضور ذات المتنبي المبدعة :  
كالجبال اليت تشهد أنني  
الجبال وبحر شاهد أنني البحر  
نلاحظ هنا وفي ذات الموضوع أداة التشبيه ووجه الشبه .
- ج - على مستوى المعجم الشعري:  
يمكننا الحديث عن معجم الغزل الحاضر في غرض الرثاء أين أبدع المتنبي في رثاء النسوة بتعامله مع معجم الغزل لخلق تداخل بين النصوص.



وتحولت إلى علاقة تألف ووثام وذلك بتوليف التناص بين الفجعة والتمجيد: وما الدهر إلا من رواة قصائد

إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا  
هكذا نلاحظ نسقا عميقا في البناء الشعري على مستوى المعنى وذلك باستكشاف طاقات اللغة التعبيرية والتصويرية ومكانها، فالصورة تمثل جوهر العملية الإبداعية وجمالية النصّ

الشعري موكولة لها والصورة جنس من تشكيل المعنى وإجراء اللغة وتوليد الدلالة والصورة أيضا موصولة بمحاسن الشعر ومزاياه. وغرضنا من هذه الملاحظات أن نبين ونميز جمالية التصوير عند المتنبي فيما يختلف عن السنن الشعرية العربية، فالصورة قائمة على القلب والغربة. والمتنبي يتصرف في حقائق الأشياء وهو ما أشرنا إليه آنفا عندما تحدثنا عن خلق مفاهيم جديدة في قصيدة المتنبي.

هـ - في معنى القفر وتغليب الفرع على الأصل:

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها  
فإن في الحمر معنى ليس في العنب

هكذا يبين لنا الاستطلاع التحليلي أن الصورة في شعر المتنبي تعريف للغة على وجوه داخلية وإيحائية .

5- المعاني وتغليب الفرع على الأصل:

أ- على مستوى الرحلة: تغير معنى الرحلة في شعر المتنبي إذ لم تعد الرحلة في المكان ما هو معروف في الشعر القديم وإنما أصبحت رحلة في المشاعر والوجدان.

لولا العلام ما تجدي ما بها  
وجناء حرف ولا جرداء قبلت

ب - على مستوى النسيب: لم يترك الدهر في قلبي وفي كيدي شيئا تقيمه عن ولا جدي

ج - على مستوى معنى الحمرة كما في قوله:

يا سافني : أحر في كؤوسكما  
أم في كؤوسكما هم وتسهد  
أصخرة أنا مالي لا تحركني  
هذي الدمام ولا تلك الأغاريد

د- في معنى الدهر: المعروف أن العلاقة الجدلية القائمة بين الشاعر والدهر دائمة التوتر لا تستقر على حال لكن المتنبي شدّ عن القاعدة إذ علاقة الدهر بالمتنبي أصبحت حميمة

الحائمة :

الوصول إلى أعلى مراتب الجاه والنقوذ والسلطة فشر شعورا رهيبا بأن العالم محمول على الفناء لكنه أحس بقدرة عجيبة على امتلاك الأشياء وتصريفها والتحكم فيها لذلك لم تغب ذاته المبدعة عن مواضع الخطاب الشعري على اختلافها.

فشكا وتآلم وافتخر وتعالى وهذه الآثار البارزة في تجربة المتنبي الشعرية هي بلا منازع من أسرار ومكانم العظمة والخلود في شعر المتنبي وشاعريته.

نلاحظ أن تجربة الشعر عند المتنبي تتغير فيها الأنظمة الإيحائية والدلالية وان المعاني المؤسسة لخصائص شاعريته بقدر ما انفصلت عن البيانية العربية القديمة فإنها غيرت الأصول التعبيرية التي تحكم انتاج المعنى. فالمتنبي ولد لذائد جديدة أحدثها في نظام القول الشعري فقد غير نسقه تركيبة المعنى بمواجهة نموذج الجمال القديم واتباع ابداع جديد. والمتنبي أحس أن الحياة منغصة عليه تغلبه الحنية والفشل في

ولكن هل يمكن للإنسان أن يمسخ حشرة كبطل رواية: "المسخ" إذ يقول السارد "عندما استيقظ فربقور صامتا ذات صباح (...). وجد نفسه في سريريه قد تحوّل إلى حشرة حقيقية" (4). أي مصير لهذا الإنسان-الحشرة؟ هذا هو سؤال التلمودي الرئيس ورهانه فالإنسان كائن ضعيف، والكاتب حادّ الوعي بهذه الوضعيّة. ولكن له الحرية في الفعل وإرادة الخلق والمسؤوليّة لتحديد مصيره. وهي شعارات الوجوديّة: أيعيش الإنسان ليعيد كرامة الوجود؟ أم أنّه قادر على تطويع الحياة. إمّا أن نبحث كياته فيحقّ له صفة إنسان وإلاّ عاش في إستسلام وخنوع فيمسح حشرة. إنّ تحوّل رواية "المسخ" من إنسان إلى حشرة جائز حتّى على المستوى الفكري، ولكن العضلة في طريق العودة لنحت الكيان. هكذا أدب البشر التلمودي، يريد به الكاتب الانعناق من هذا المصير - العدم، بعدما كان طعم الحياة دمويا. يبقى الكاتب أمام هذا التحوّل مهووسا بأكسر الحياة، حتّى وإن جرّب تصفية الهواء المدخّن الذي لازم التحربة الإبداعية، وربما يسعى إلى إصلاح ثقب الأوزون بقطعة من قلبه كي ينقذ الإنسانية من الخطر والشيء.

## علاقة الشاعر "عمر أبو ريشة" ببتروت

بقلم الهادي عبد الملك

شاعر شاب مثلي - في ذلك الوقت  
إلا أن ظنهم خاب والحمد لله...  
على كل، رافقت الشاعر "عمر  
أبو ريشة" وهو الذي يعني الآن، هذا  
الشاعر العملاق قامة وحضورا زار  
مدينة بترت طبق برامج إقامته  
بتونس.. وفيها (أي بترت) التقى قلة  
من أهل الثقافة استمتعوا بقصائده  
ويطريقته المبهرة في اللقاء.... وهو  
نفس الانطباع الذي خلفته أمسيته  
الشعرية الثانية بنهج دار الجلد  
بالعاصمة والتي حضرها عدد كبير من

رجال الأدب والثقافة...

"عمر أو ريشة" جاءنا من  
بيروت حيث يقيم وفي جيبه ورقة  
تحمل اسم حي من أحياء مدينة  
بترت.. في هذا الحي رأت أمه النور  
فهي أصيلة بترت وأصيلة أيضا، فقد  
طلبت منه بإلحاح الحج إلى مرع

في بداية الثمانينات وبدعوى من  
وزارة الثقافة زارت بلادنا عديد  
الشخصيات الأدبية العربية والأجنبية  
الهامة كالشاعر والعلامة المغربي عبد  
الله كتون (إستاذ الملك المغربي الراحل  
الحسن الثاني)، والهامي السوري علي  
رضا التونسي (تونسي الأصل وحفيد  
الشيخ الخضر حسين)، والروائي  
الشاعر "Jean Ethier Blais" (مدير  
قسم اللغة والأدب الفرنسي بجامعة  
كندا) والشاعر السوري الكبير عمر  
أبو ريشة..

وقد نالني شرف مرافقة هؤلاء  
الضيوف الكبار بتكليف من الأديب  
أي القاسم محمد كرو - مشكورا -  
رغم همسات احتجاج أطلقها البعض  
ظنا منهم أن مرافقة مثل هذه  
الشخصيات مسؤولية تستوجب  
مواصفات معينة لا تتوفر في

صياها والبحث عن رائحة "العيلة"... المنشودة...

قال لي الشاعر "عمر أبو ريشة" إن  
أمه فارقت الوطن إلى ديار الشرق  
وهي في عمر الزهور، وقال إنها  
-الآن في ذلك التاريخ- عجوز لا  
تقوى على الحراك...

و رغم تغير اسم الحي بفعل الزمن،  
فقد حالفنا الحظ في الوصول إليه  
حيث عثرنا على أحد أفراد العائلة  
أرجو وأتمنى أن تتذكر بتزرت  
حفيدها بالطريقة التي تراها مناسبة...

حول هذه التجربة الإبداعية حيث عديد الكتابات. ولكن ما قرأت من هذه الدراسات لا يرفني إلى المستوى النقدي، ولا إلى المحتوى الإبداعي لكتابات هذا القصاص بل هي مجرد اتصالات (وستبقى يا صديقي شاباً على الدوام...) أو بحالات لأنهم يتناولون النص منفرداً دون الإحاطة بالتجربة الإبداعية ككل. وإن وجدنا بعض المقالات الجادة فإنها أعمال تعني بالجانب المضموني فحسب (علاقة الكاتب بالزمن، بالموت، بالآخرة، بالله) (5) والحال أن المضمون في أي عمل أدبي هو بعض العمل لا كله. يبقى مشروع التلمودي الذي ارتأينا تحقيقه (وهذا جزء منه) هو مشروع يأخذ بعين الاعتبار الجانب القصصي عنده، رغم أن كتاباته زبنيّة لا تنحصر في نمط إبداعي بعينه (كتب الشعر الحرّ، والتأملات الفلسفية والومضات، والشذرات، والقصة القصيرة، والأقصوصة، والرواية). فهذا الجانب القصصي عصيّ الجانب لعدة عوامل:

- عدم استقرار الكاتب على نمط إبداعي معيّن
- نشر أغلب أعماله في الصحف السيّارة
- عدم إمكانية حصر إنتاجه لعدم حصولنا على أغلب الصحف، لأنّ الصحيفة عادة ما تنشر جزءاً من القصة فيضطرّ الكاتب إلى الاعتزال وهو ما يضرّ العمل الإبداعي.

## كتاب "مقاهي نجيب محفوظ في مرفأ الذاكرة"

للأستاذ : رشيد الذوّادي

مرجع للإمتاع والمؤانسة

بقلم : عز الدين الشابي فرحات



[أهدى إلي الأستاذ رشيد الذوّادي آخر كتبه "مقاهي نجيب محفوظ في مرفأ الذاكرة" ولما قرأته وقفت على حجم المعاناة التي تكبدها صاحبه من أجل تأليفه وإصداره وتوزيعه تملكني الخجل من مساهمتي في مزيد تكريس حرج هذا الأديب الصديق ومعاناته وقررت ردّ الهدية في حسابه الجاري أضعافاً مضاعفة واستغفرت الله في حقّ ما تعودنا ارتكابه من ذنوب وتجاوزات تجاه المبدعين والمبدعات في بلادنا بأسم قليل من الأريحية والصداقة وكثير من حبّ الذات.]

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

في 128 صفحة استطاع الأستاذ الأديب رشيد الذوّادي أن يلخّص موسوعة بحالها ويجعل من هذا الكتاب مرجعاً عربياً لا غنى عنه لأنه يتطرّق لموضوعات مختلفة ومتنوّعة كالتمرّض إلى أهمّ محطات الحضارة العربيّة ورموزها العظام قديمها وحديثها وعلاقة العرب بالقهوة والشاي وما قاله بعضهم عنها وكذلك أثر المقاهي على الإنتاج الأدبي في العالم العربي عموماً وبالأخصّ في مصر. وفي هذا الباب تبدأ رحلة الباحث والأستاذ رشيد الذوّادي مع دقائق التفاصيل والوقائع والأحداث المدعّمة بالتواريخ والأسماء والمراجع ما يدلّ على سعة اطلاع الكاتب وصره على جمع المعلومات بل وعلى تحمّله مشاق رصد الحدث بنفسه وبطريقة مباشرة

الساحرة وأحيانا بأحدك الوصف  
الحميمي إلى مجالسة أحد الأدباء الكبار  
وتقف ساعتك في الزمن الهارب كأنها  
تريد أن تؤكد لك أنك في علم لا  
حلم.

وتستمر بك الحال بين القاهرة  
والإسكندرية ودمنهو وأسيوط  
وكانك في ألف ليلة وليلة أو مع  
قصص الظاهر بيرس وفتوح اليمن  
وأبي زيد الهلال وتحضر بنفسك حوارا  
يلور بين زكي مراد والد ليلي مراد  
وداود حسني، وتركب على صهوتك  
المعطرة لنحملك حيث جلس محمد  
فهيم عبد اللطيف أو شيخ الصوفية  
الأول جمال الدين أبو عبد الله ابن  
سعيد، وتتسلق السلم لتعيش على  
إيقاع الوصف الساخر للشيخ  
الشعراوي، وتترحل من فترة زمنية  
إلى أخرى ومن مكان إلى مكان وفي  
يدك فنجان قهوتك الذي يمثل تذكرة  
عبور تسمح لك بالاتصال بمن تريد  
من هؤلاء الغرمين بالجلوس في المقاهي  
من علماء وأدباء وفنانين أمثال الشاعر

كانتحوّل إلى مصر وزيارة أهم  
الأماكن التي استقطبت الشخصيات  
الأدبية.

ولأنه أديب متمكن فإنه لا يكفي  
بمجرد الإعلام الصحفي بل ويتعامل  
مع ما يشاهد ويسمع ويقرأ بقدرة  
عجبية في التحليل والتركيب وتسليط  
الأضواء على الأحداث بمنهج علمي  
وأسلوب جذاب ومقنع دون أن يفقد  
السرد طلاوته ونضارته وبلاغته وهو  
ما يتم على امتلاك جيد للغة وتحكم  
متميز في طريقة التبليغ وتحكم ملفت  
للاتباه في تقنيات البحث العلمي  
هذه المهارات يدخل بك الأستاذ  
الأديب رشيد الزواوي في المقاهي  
الأدبية في مصر بالتفصيل والجملة حتى  
تكاد تشم رائحة البنّ المقلّي ويخيل لك  
أنك تترشف مع زبائن سمعت عنهم أو  
قرأت لهم فنجانا سخنا مازال طعمه  
ونكهته على طرف لسانك وأنت  
تستمع إلى الأدباء والفنانين قديمهم  
وجديدهم وتعيش مع كتاباتهم  
وفنونهم المستوحاة من هذه الأماكن

كثيرة. وأنت ميهور بما ورد في كتاب الأستاذ الأديب رشيد النوادي "مقاهي نجيب محفوظ في مرفأ الذاكرة" تكشف ميررا لانبهارك عبر السطور فالكتاب النوادي ليس متطفلا على هذا الموضوع فقد سبق له أن تناول علاقة الأدباء بالمقاهي في كتاب أسبق بعنوان \* مقاهي الأدباء في الوطن العربي\* وهو أثر بارز قدم له نجيب محفوظ بنفسه سنة 1999 .

هكذا تتحلى العلاقة الحميمة بين الأستاذ رشيد النوادي والأديب العالمي الكبير نجيب محفوظ في كتاب \* مقاهي نجيب محفوظ في مرفأ الذاكرة\* كما تتحلى قيمته في ما ورد فيه من أخبار يمكن أن تكون مرجعا لمن يريد التعمق في دراسة أدباء عصرنا بصفة عامة وبالأخص نجيب محفوظ ومن عاشره أو جالسه أو تحدث إليه .

كما يختص هذا الكتاب بتعليق وملاحظات وآراء فريدة من نوعها توضح وجهة نظر نجيب محفوظ حول بعض كتبه ورواياته وحول بعض معاصريه وهو وجه من وجوه ثراء ونلدرة هذا الكتاب وبالتالي أهميته.

عمود حسن إسماعيل وزكرياء الحجاوي وأتور فتح الله وعمود محمد شعبان وغيرهم، ويقي الكاتب الأستاذ رشيد النوادي حاضرا معك برأيه في كل الحالات ليقرر الفصل بين "عودة الروح" لتوفيق الحكيم و"زقاق المدق" لنجيب محفوظ، ويبدو الكاتب قريبا جدا من بعض هؤلاء إذ لم يكنف بقراءتهم أو الاستماع إلى أخبارهم بل جلس معهم وتحدث إليهم ومن بين هؤلاء علي أحمد باكثير وسلامة موسى ومحمد مندور ومصطفى أمين وصلاح أبو سيف وبالطبع نجيب محفوظ وهكذا يجعل قارئه يرشحه كأحسن من يتحدث عن هؤلاء ومن لا يفاجأ بـ "الصورة من قريب" لنجيب محفوظ الذي التقاه أكثر من مرة وعاش في عصره واقترب منه وحضر الكثير من مجالسه ولامس دفء نفحه وعاشره في بعض جلساته وكذلك في مكتبه وحجرته رقم 607 بالدور السادس.

وكذلك يحدثنا الأستاذ رشيد النوادي عن حوارات طريفة ونادرة دارت بينه وبين الأديب العالمي الكبير نجيب محفوظ حول مدارات هامة وشؤون فكرية

## جائزة نوبل أم لعنة الديناميت؟

### قراءة في جائزة نوبل للآداب

بقلم : كوثر خليل

ألفرد نوبل؟ (1833-1896) كيميائي سويدي، مخترع مادة الديناميت وإذا كان لهذه المادة فضل في تفجير المناجم ونسف الصخور وفتح الأنفاق فقد كانت السبب الرئيسي للحروب والمجازر التي حدثت منذ بداية القرن ورغم أن أول ضحاياها كانوا إخوة ألفرد نوبل وعملته وموانيه إلا أنه واصل العمل حتى حقق الثروة الطائلة التي أوقف كل فوائدها منذ سنة 1901 فائدة خمس جوائز تستند سنويا لمن ينتج اكتشافا أو اختراعا أو أثرا في مجال الأدب أو الطب أو الفيزياء أو الكيمياء أو يساهم في المواخاة بين الشعوب.

عاش نوبل ومات أعزب وكانت له شخصية منطوية أقرب إلى الاكتئاب ومما جاء في بعض مذكراته : "ألفرد نوبل نصف إنسان، ضئيل، كان ينبغي أن يشرف على ولادته طبيب من أهل الخير، يخدم أنفاسه الأولى ويقضي عليه يوم قدم صارخا إلى هذه الدنيا... مزاياه : ينظف أظفاره ولا يحب أن يتقل على أحد... نقائصه وعيوبه : بغير أسرة، كتيب، أهم رغباته : بل رغبته الوحيدة : ألا يدفن وهو على قيد الحياة.... الحوادث الهامة في حياته : لا شيء" (الأستاذ محمد بوذينة: جوائز نوبل للآداب (1901-1990).

إن المآخذ على جائزة نوبل كثيرة فالمتفحص في أسماء الدول والسير الذاتية للشخص ليقف على أشياء مثيرة للسؤال بل للارتباك. نوبل جائزة على هذه السمعة العالمية في حين أنها لا تتوفر على القدر الكافي



المؤلف الأكثر تميزاً وذا الاتجاه المثالي" فهذه الجائزة قدّمت لأدباء قيمتهم لا تتجاوز الحدود الإقليمية في حين وقع تجاهل أسماء قدّمت إضافات حقيقية في دول أخرى.

هذه الجائزة شجعت بعض الحاملين للأفكار الاستعمارية مثل:

روديارد كيبلنج Rudyard kipling 1865-1936 شاعر وراوي انكليزي. ولد في بومباي بالهند، لقّب بالشاعر الاستعماري لأنه كرّس فكرة الاستعمار كوسيلة لحماية الشعوب وتهديتها وحكمها وفق مبادئ العدالة.

من مؤلفاته : كيم (1901) شحاعة القبطان (1897) الأدغال (في جزأين 1894-1895) شجعت جائزة نوبل التيار الصهيوني في العالم فقد كان صاحب جائزة نوبل لسنة 1966 كاتب إسرائيلي يدعى Agnon Samuel "أغنون صامويل" وقد شاركته الجائزة الشاعرة الألمانية Nelly sacho (نيللي ساخ) الداعية للفكر اليهودي بطريقة بكائية إضافة

من الأمانة العلمية والتاريخية وهذا يجعلنا ندرج بعض الملاحظات الأساسية:

\* بالنظر إلى عدد الدول في العالم نجد أنّ جائزة نوبل لم تخصّ إلا عددا محدودا من الدول (الاتحاد السوفياتي-الولايات المتحدة-فرنسا-ألمانيا-

نيجيريا-جنوب إفريقيا- اسلندا- إيطاليا- أبلتترا- استراليا- بلجيكا- بلغاريا- الهند- بولونيا- السويد- الشيلي- المكسيك- النرويج- سويسرا- كولومبيا- فنلندا- غواتيمالا- تشيكوسلوفاكيا- الدمارك- يوغسلافيا- اليونان- ليا بان-إسبانيا- ايرلندا- مصر- إسرائيل)

\* قدّمت هذه الجائزة لاعتبارات سياسية في أغلب الأحيان :

-اعتبارات محلية: لقد قدمت الجائزة لسنة من السويدين وثلاثة من النرويجيين (بحكم الجوار أو العلاقات الدبلوماسية) رغم أنّ بعضا منهم لا يستجيب للشروط الواردة في الوصية وهي "قسم لمن أنتج في ميدان الأدب

إلي الذي يعد كاتباً غير ملتزم فقد أدا السالينية وكتب قصيدة مشهورة عنوانها "بابي يار" سنة 1961 تدين بشدة عملية الألمان المتمثلة في قتل 90.000 يهودي في الحرب العالمية الثانية ولم يكن ذلك إلا تقرباً من بعض الجهات المعنية في العالم.

عملت جائزة نوبل على موازنة كل موازين القوى في العالم فكانت تستقطب أغلب الأقلام المهاجرة كما حدث مع أغلب المؤلفين السوفيات الفارين من بطش ستالين فشوهوا صورة الوطن انطلاقاً من فضح النظام مثل سولجنشين (سنة 1970) /

تشيشلاف سيلوش (1980)

-ونستون تشرشل: وقع إسناد جائزة نوبل للأدب إليه سنة 1953 رغم أن النظر في سيرته الذاتية لم يكن يدل على أية مسيرة أدبية فقد كان محارباً وسياسياً محتكاً فهل كانت مجرد شارة يضيفها إلى شاراته الحربية؟

لقد حجت جائزة نوبل للأدب لثلاث سنوات بسبب الحرب العالمية

إلى تركها ألمانيا بسبب الاضطهاد الذي لقوه على يد هتلر كما أنها أسندت إلى أمريكي يهودي يدعى ساول بيلو سنة 1976 Saul Bello (1915-؟) روائي أمريكي اهتم بصراع الذات مع المجتمع.. كان له عميق الاهتمام بالمسألة اليهودية مع إعجاب بأخلاقيات الإنجيل مما جعله يكتب رواية نالت شهرة واسعة عنوانها "يوجي مارش" (1953) وقد تناولت الحياة اليهودية في شيكاغو، ظهر له : هرزوك (1964).

و حصل عليها سنة 1978 اسحق

سنجر Isaac Bashevis Singer (1904-1991) وهو كاتب أمريكي

يهودي من أصل بولوني تناول قضايا الفساد الأخلاقي والسياسي والانحراف الجنسي في البيئة البولونية. له: "العائلة موسكات" (1950) "الألوان الممنوعة" (1959) "عربة اسمها الرغبة" (1947).

قدمت الجائزة سنة 1987 إلى الكاتب الروسي جوزيف برودسكي

الثانية (1940-1941-1942).  
وحجبت أربع مرات في حين قدّمت  
في بقية المجالات الأخرى وذلك  
بالسنوات (1914-1918-1935-  
وعلى الإبداع الفذ؟

إن الخطأ الذي بدأ بمسحوق النيترو (1943).

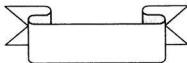
وقع تقديم جائزة نوبل إلى  
النيحيري وول سوينكال (1986)  
والمصري نجيب محفوظ (1988) فهل  
حدثت تغييرات في المناخ السياسي  
العالمي جعلتها تعدّل موقفها أم أنها

كانت تحمل انتظارات أخرى؟  
رفضت جائزة نوبل العديد المرات  
من طرف بعض الأدباء الذين منحت  
إليهم فلماذا يصّر البعض على قبولها.

مرّ على بداية إسناد جائزة نوبل  
103 من السنوات ومازال الكثير من  
الأدباء في العالم يحملون بنيلها خاصة  
في بعض العوالم الثقافية المنسية والتي لم

أفكّر في سبيلها

وقد تلتفت إليك وعلى الأرجح لا؟



## أربعون شمعة في نادي القصة بالوردية

(2)

بقلم يحي محمد

2) معايشة وممارسة الكتابة القصصية.

3) القبول بالرأي المخالف بالحوار المباشر.

4) يأخذ كاتب النص حريته بين إعادة الكتابة أو الإبقاء على بنيتها الأولى وبأمانة التعبير على ما جاء في

هذه الثلاثية ظل السيد رئيس هذا البيت يحافظ على هرمه بحافظة

المتعلق بالأهداف والأبعاد كي يتواصل ويتنامى وبشيء من الاعتراف بالفضل نقول بأن قصة

هذا البيت ابتدأت من هذه الثلاثية التي ربما أخرجت من أحس

بالإحراج فخير في النهاية تقويم نظرت بأسلوب آخر واختيار بديل

هذه الثلاثية هي السبب الرئيسي في بقاء "شمعة النادي" تضيء رحابه

حتى عقد الأربعين ويزيد وبيت

القصة من البيت

\* في هذه المرحلة كنا نتحسس

أبعاد الكتابة في هذا الفن أي من

موقع فكري يتحسس الجوانب

واللمحات في أية مساحة وتحت أي

سقف لكي يكون التنفس في هذا

البيت دون ضغط قد يقضي

بالكاتب إلى العدول عن الكتابة

القصصية.. بل وترتيب هذا البيت

قد ابتدأ بعد بأسلوب "فردى

جماعي" في شبه حضيرة بناء ما

انفكت تجلب الانتباه على توفير

مواده بأيسر الطرق مع توضيح ما

في المثال الهندسي من إشارات

معمارية فنية وظيفية على أمل

التوافق وبخاسته قولاً وعملاً على

أساس:

1) حرية النقاش دون مؤثرات

شخصية.

والسيد رئيس النادي يتبع كل كبيرة وصغيرة مادية أو معنوية يدير الحوار بين الأعضاء الواحد تلو الآخر بأسلوب ترتبي أو كما يبدو له. وكنا نحاول المزيد من التعاليق الهامشية إلا أنه لا يود أن ينفلت المقود من بين يديه.. يسأل ويجب من خيرة الخلدس وصفاء الفكر مع خليط من الماضي والحاضر وقدرة على التقاط كل الصور، وهو يختزن الإفصاح عما في جراب النادي وقد اقترب موعد مجلة (قصص) وكبر راضيتها، بعد؛ إلا أن الرصيد يظل في حاجة إلى المزيد، وعندما تحدت اللحظة كان المشروع يومها قد وجد طريقه إلى النور (جويلية 1966) إذ تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود وخرجت القصة من البيت في زي جديد.

\* هكذا كان الموعد في بيت القصة وأرقام التاريخ تركض في الحلقة، وفي البيت نقد وفيض وأدب.. وقد أصبحت الكتابة ممارسة في عمق

القصة هكذا بسيط هادئ ليس به كراس وثيرة، أو أي ادعاء لنيل جاه غير ما يمنحه النص السردي من شعور الاستحسان والرضى على امتداد التجربة وامتلاك ناصيتها من إبداع إلى آخر لا أكثر ولا أقل.

فالقصة من البيت وفي بيت القصة، تدار مع اهتمام بشؤون البيت أولا وأخيرا.. فمن الكتابة التلقائية كيفما اتفق إلى تفهم أسبابها وعواملها وإدراك سلطتها المباشرة وغير المباشرة بين اللذة والألم، الفشل والنجاح، التزويل والتأويل.. لكن ربما تكون المحاولة تقضي بنا إلى نرجسية في غير موقعها.. بل أي شيء آخر.

كان لقاء مساء السبت من كل أسبوع موعدا مقدسا، وكأننا نتظر منه المفاجآت كان كل شيء في "نادي القصة" والقصة في أي شيء، متعة اللقاء في الحوار وفي التعرف على شتى المذاهب والمدارس والأساليب، في الفهم الأدبي والفني

خلدون بإدارة الأستاذ عبد القادر القليلي، واتسمت هذه الكتابة بكونها ترفض الجاهز، كتابة تصور الحاضر وتكتشف المستقبل، فظهر نص (الإنسان الصفر) لعز الدين المدني، (وصخب الصمت) لسمير العيادي إضافة إلى نصوص من أعضاء النادي في هذا الاتجاه الأدبي أو غيره للتدليل على أهمية الإنتاج القصصي الذي توجه في هذه

المرحلة.

\* من ذكريات ظهور أول عدد من "قصص" (سبتمبر 1966) أي بعد حولين كاملين من تأسيس النادي، إذ جاء في كلمة تصدير العدد قول رئيس النادي محمد العروسي المطوي: (ها قد بدأنا ولما تنقضي ستان على عمر نادينا) (نادي القصة).. بدأنا في نشر ما تمخضت عنه لقاءاتنا التي - كان وما يزال - يحتفل بها النادي كل يوم سبت بلا انقطاع. كانت لقاءات بين أصدقاء جمعت الكلمة الطيبة شملهم. ووطد

الهوية والتخصص والخبرة النفسية تتحدد وتنمو وتكر وقد تعودنا أن تضيء الشمعة أرجاء النادي ولو كان الحضور لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة حسب وصية البشير خريف وهكذا أدار العروسي المطوي سير النادي إدارة تحاول الاقتراب من العمل فتشكل صورة المضمار القصصي وينمو الإحساس بواقع النادي ووقعه في النفوس.

ومن الذكريات

\* عندما شعر أعضاء النادي بثقل الحجم وضخامة المسؤولية تناغم الجميع مع ضرورة البحث عن التحريب في القصة كاتجاه جديد، بتحديد المفهوم والمعنى عندها كثر الحديث عما سمي بأدب الطليعة أو الأدب الطلائعي وتممس للكتابة في هذا الشأن د. محمد صالح بن عمر - عز الدين المدني - إبراهيم بن مراد - سمير العيادي واحتضنت مقالات هذا النمط بمجلة ثقافة التي كانت تصدرها دار الثقافة ابن

\* نذكر أن العدد الأول من "قصص" استقبل بشموخ مضيئة في حفل أدبي انتظم بدار الثقافة ابن خلدون (20- 10-1966) ضمن تحيات صحفية وأدبية بهيمنة - العمل والصباح- ومجلة الفكر وكعلامة في الطريق إلى السيناريو التلفزيوني والسينمائي، ونوعية أخرى للكتابة المسرحية أدبيا وفتيا.. وكواحدة من المجالات المختصة في الشأن القصصي والروائي التونسي ونافذة إضافة مواكبة لتطور الأدب العربي من تونس والمغرب العربي، وحلقة وصل بين الرواد وأجيال الحداث. وتقول مجلة "الإذاعة" التونسية (24- 10- 66): "مجلة جديدة تصدرها الدار التونسية للنشر بإشراف - نادي القصة - هي مجلة "قصص" الحدث في حد ذاته كبير، وكبير جدا.. في كون هذه المجلة تظهر لأول مرة في المغرب العربي بأكمله".

\* وتقول مجلة

حب تونس ما بين قلوبهم، فالتأموا على صفاء وفي جراب كل منهم مئات ومئات القصص).

\* إذن .. برزت "قصص" والشمعة ما انفكت تضيء رحاب النادي نحو حوار : "طريق المعصرة" و"قطار الصباح" ينه المسافرين في المحطات كي لا يتوقف أكثر من اللازم.. ومن المسافرين من حمل معه "بصرة- من الدقلة في عراجينها" وهناك من رفع رأسه يستطلع "بقية الذكرى" و"سطوح الغسيل" تحت ضياء شمس ساخنة، ونص: ليّام اخلهوتي "الرامي" يتلاشى داخل الليل، و"إنسان الرعب" يطال البرد والمطر والبحث يتواصل عن "الوجه الآخر للقمعر" وأسراب النورس ترقص على سطح الماء "سقيا يا مطر" وهنا يرتفع صوت من المحطة بالحاح: "من أنا" و"رسالة" تخرج على جناح طائر سريع نحو هدفها.. تحمل أفكارا حول "القصة التونسية" مع أول باقة من "قصص".

كما عرف أيضا بالقاص : محمد المشيرقي كأول من نقل القصص الغربي إلى العربية .. وقد كان محمد المشيرقي من مترجمي الحكومة التونسية، وقد ترجم فقرات قصصية من إنتاج الأديب الروسي - ليون طلستوري- وكتب المشيرقي رواية بعنوان "سلطان الضلال" عن مطبعة التقدم السلامية (1911).

\* من الذكريات الطريفة قراءة الزميل محمود التونسي قصة (صحن كفتاجي بالعظيمة) نشرت بعدد "قصص" (جانفي 1968) إذ استمع الحضور بانتباه شديد إلى هذا النص الوصفي. لكان "الكفتاجي" الضيق الذي لا يتسع إلا لثلاث طاوالت وحول كل طاولة أربعة كراسي، مكعب كبير مبني في الجانب الأيسر من مدخل الباب، فوقه مقلاة كبيرة وصحون خزفية وخضر.. تحت المكعب فرن يقع أسفل المقلاة لا يرى منه إلا كوة صغيرة يخرج منها الدخان.. ولما

الشباب (8-10-66): "أما نادي القصة فقد سن بعمله الجليل هذا سنة جديدة وحيدة تمنى لها دوام العطاء والإنتاج" أما مجلة "الفكر" فتصافح - قصص (ديسمبر 66) قائلة: "بادرة طيبة هذه التي أقدم عليها" "نادي القصة" التي تتمثل في نشر مجموعة من القصص كل ثلاثة أشهر يقع تدارسها في جلسات متعددة... أليست القصة هي التي أصبحت في عصرنا تعتبر بأكمل صورة عن "آلام الإنسانية وآمالها". \* وتشرع - قصص - من عذدها الرابع "جويلية 1967" في نشر نصوص رواد القصة والرواية التونسية بدءا بنص (فضائح المقامرة) بقلم إبراهيم فهمي بن شعبان وهي التي كانت صدرت سنة 1910- وقد طبعت آنذاك بإشراف المحل التجاري الوطني - 1328 هـ- وقدمها الزميل عز الدين المدني معرفا قراء - قصص - بالقصة التونسية القديمة.



حرارة النقاش بشأن مسألة تجريبية أو قفلة قصصية لم تأت على سياق الأمزجة والأفكار.. وتدفع الجلسات فوق ملعب القصة يتهاافت عليه كل من يأنس الجمال في خطّة، والرّسم "الكاريكاتوري" في الأشكال والألوان وكيفما افتق وميولات محمد المختار جنات-للكتابَة بالدّفع أو التقاعس عنها.

\* وتأتي "ملتقيات نادي القصة" كأروع حدث يسجّله النادي مع رئيسه الطاهر قيقة بوصفه مدير المركز الثقافي الدولي بالحمامات الذي فتح أبواب هذا المعلم الثقافي الجميل أمام أعضاء نادي القصة لأول مرة (موسم 1971/70) وهذه من البدايات التي تظلّ رائعة في تاريخ النادي.

\* ومن الذكريات الأدبية لهذا النادي أنّ رئيسه محمد العروسي المطوي ظلّ يعدّ ترتيب نصوص "قصص" ويوصلها بنفسه إلى مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم التي كانت

تواصل سرد القصة سال لعاب "المختار جنات" فأضاف: "مشي صحين بعظمتين".

\* ويأتي دور محمد صالح الجاهري فيقدم نص: (الحياء وسراج الليل) لصالح مويسي ثمّ يكتب عهد القادر بن الحاج نصر (صلعاء يا حبيبي) وعلي شلفوح عن عوامل التحوّل في أدب القصة، وعزّ الدين المدني عن القصة والرواية، وعزّ الدين المدني عن القصة والرواية، وعامر بوتورقة في (رفع الستار) وسيمر العيادي (لاخص للسلاحف) وتوفيق الجبالي: (منى تحفر القبور) وتتوالى النصوص مسرعة نحو "قصص" ومشتقاها ضمن سلسلة قصصية عزّزت الصفّ وأضافت الكثير من الذكريات الحلوة و "قطار نادي القصة" يسير في صمت، والكلّ على موعد مع الهدوء إلا من أراد الترويح عن النفس أو طرق باب المشاكسة المجانية عندما يرتفع ميزان

ثم قبل هذا التنظيم بعد صدور عديد الأعداد من قصص إبان فترة التأسيس فمرّ بعض أعضاء على "هيئة تحرير قصص" من يحيى محمد-المختار جنات- عزّ الدين المدني-سمير العيادي-بوبكر العيادي إلى خديجة وغيرهم إلى أن استقرّ الأمر بعد العدد (107) من "قصص" لهيئة جديد تحت مسؤولية رئيس التحرير-أحمد ممو-وبتركية الأستاذ محمد العروسي المطوي نفسه.

إنّ سجلّ ذكريات النادي أكثر من أن نحضر في مقال، بل هي إشارات وملاحح للإضافة وتنوّع الدراسة المفصّلة من المختصّين عن الضمير اليقظ في "ناي القصّة"، عن الاشتراكات في المجلّة والاعتماد على الذات، عن البصمات الأدبيّة دون تشخيص عن تميّز الخطّ الفكري للنادي، عن اختلاف الأساليب والمدارس فيه وضرورة نحت بصورة مستمرة..عن مظاهر الدّعم الذي ما

بشارع المنحي سليم ثمّ إلى مقرّها الجديد قرب مطار تونس قرطاج الدولي، ثمّ يتسلّم نصوص العدد ليصلحها ويرتبها..يوم السّبت بالذّات يأتي إلى النادي منذ الصباح ولا يغادره إلّا مساء بعد انتهاء جلسة "نادي القصّة" حتّى عندما خفت نشاط النادي في فترة ما، وكان محمد العروسي المطوي حتّى عندما انتكست صحّته أن ينقل إلى المستشفى أو المصحّة يسأل من كان حوله عن "النادي" إذ من

المعلوم أنّ هذا النادي كان يحضره داخل شريان حسّه ونبضه الفكري منذ تأسيسه وهذا ما جلب له التقدير والاحترام حتّى ممن اختلفوا معه في أسلوب التسيير، وغط "التمدرس" التي يتمسك بها المطوي في إشرافه على النادي وتطوير مكاسبه الأدبيّة الهامّة من "قصص" ومشوراتها.خاصّة حين سم "قصص" دون هيئة تحرير أو سكريتاريّة تحرير أو ما يشبه ذلك،

العنيزي - عبد الكريم غلاب -  
مصطفى الفارسي - كامل حسن  
المقهور - مصطفى الاشراف.

إنّ هذا الملتقى كان انتظم بعيد تأسيس نادينا كدعوة ثقافية هامة جديدة بالتحسس والمتابعة نحو مطالبة كتاب القصة والرواية في أقطار المغرب العربي الكبير إلى تجديد اتصا لهم بعد مرور حوالي "36 سنة" على اجتماعهم للإحاطة بإنتاجهم الأدبي معرفة ودراسة واكتساب التجربة وطرح قضايا الكتابة القصصية والروائية في هذا الجزء من الوطن العربي ملتقى الثقافات والحضارات. وكان الأستاذ الشاذلي القليبي وزير الشؤون الثقافية والأخبار آنذاك افتتح هذا الملتقى داعيا الكتاب المغاربة إلى مواصلة الجهود لإبراز اهتماماتهم بإنتاج بعضهم بعضا مع الانفتاح على العالم وعلى ما يجد من إبداعات ووسائل التعريف بها في الثقافة الإنسانية.

انفكّ النادي الثقافي "أبو القاسم الشابي" يقدمه لنادي القصة و "قصص" والمنشورات وملتقيات الحمامات التي ما دخلها نادي القصة. إلاّ بتشجيع للأستاذ الطاهر قيقة رئيس النادي الثقافي في فترة التأسيس.

#### مع ملتقى القصاصين المغاربة

\* خلال فترة تأسيس "نادي القصة" بتونس شاعت الظروف أن يتعقد لأول مرة "ملتقى القصاصين المغاربة" (24 - 28 ديسمبر 1968) بالمركز الثقافي الدولي بالحمامات بحمة مديره ورئيس النادي الثقافي "أبو القاسم الشابي" باعث نادي القصة ومحتضنه الأستاذ الطاهر قيقة بمشاركة ثلّة من كتاب القصة في المغرب العربي وهم: بشير التهامي - عبد المجيد بن جلون - جنّانة بنونة - محمد بيدي - رشاد الحمزاوي - محمد العروسي المطوي - مبارك ربيع - البشير خريف - عبد المجيد عطية - أحمد محمد

الدورية بين القصاصين المغاربة ورصد خضم القيم وتحوّل العقليات كما تضمنت دعوة المركز الثقافي الدولي بالحمامات لمتابعة الالتقاء به من جديد.

\* إن ملتقى - نادي القصة - في دورته العاشرة التي تنعقد أيام : 3-4-5- سبتمبر 2004 بالمركز الثقافي الدولي بالحمامات بالجمهورية التونسية يطرح في ندوته الفكرية موضوع:

- القصة والرواية في أقطار المغرب

انطلاقا من الربط بين ملتقى القصاصين المغاربة الذي لم يتحدد منذ 1968 ولاعتبار أن نادينا كان مشاركا به ممثلا في رئيسه محمد العروسي المطوي وعضوية عز الدين المدني - رشاد الحمزاوي - عبد المجيد عطية - الطاهر قبقة - المنصف شرف الدين (الكاتب المسرحي المعروف) ذلك أن هذه المسألة المطروحة اليوم في هذه

\* ألفت في هذا الملتقى عديد المداخلات من أعضاء الوفود المشاركة والملفت للنظر أن مداخلة محمد العروسي المطوي كانت بعنوان: (على شاطئ التجربة) تناول فيها طفولته بالمطوية بين "فضاء الريف ورحابته ولسكون الواحة وروعته الليلية ما ينمي الخيال، ويوسع دائرته، ويفتح آفاق التصور والأحلام".

\* كان ملتقى القصاصين المغاربة قد أصدر وثيقة بالمناسبة تناول فيها هذه الفكرة والرغبات العميقة التي

ترسم أمام كتاب هذا الجنس الأدبي من ضرورة المواكبة والالتقاء لطرح وجهات النظر وتبادل الخبرات خاصة لمواصلة درس شئ التحولات في عالم الفكر والأدب والاجتماع ومعايشة التجارب التي تسجلها القصة والرواية في العالم اليوم .. كما طرحت الوثيقة المتمخضة عن هذا الملتقى متابعة قضايا الخلق القصصي وذلك بإتناء الاتصالات

الدورة تمثل حلقة وصل وعمل نحو إبراز عديد الدراسات العلمية المتخصصة في الشأن القصصي والروائي في أقطار مغربنا العربي الكبير كحلقة من حلقات التواصل في الوطن العربي ككل. إننا نحاول التفاعل مع حاضر القصة العالمية ومستقبلها عبر لقاءات واتصالات وقراءات مفتوحة على الآخر فكراً وثقافة وحضارة.

## I - السارد - الشخصية

### (Narrateur - personnage)

يُوح لك السارد بمسورة عكسية لهذه الشخصية - أنا فهو يروي بضمير المتكلم المفرد (أنا) ويأخذ المسرود له (Le narrataire) إلى عالم الذات الموعلة في القدم، وهذا التوجه يحدده بخاصة في الإنتاج الروائي وخاصية في السيرة الذاتية (6). فهو يحكي عن ذاته حكاية قبل البدء، يعذب في وحش أمه، ويكتب قصة بحور من دم "يوم عذابي الأول ما زلت أذكره جيداً"، وهو عذاب لا يشعر به الجنين الذي مازال في مذبح جزر بين البطن والدنيا. وهذه الحالة التي يصفها التلمودي هي حالة تتجاوز الواقع، ليرقى لها إلى عالم من صنع الخيال عاشه بالفطرة لا بالوعي. لأن الإحساس بالألم يستلزم كشرط أساسي له الوعي، وأتى هذا الجنين وحالة الإدراك المتحدّث عنها؟ يأخذها السارد إلى مناطق الظل في الشخصية ليُوح لنا بأن المسيرة الإنسانية تبدأ صدفة بنطفة أمشاج، فعلة، فمضغة، فحمل وشهور تسعة وحالة وضع وعذاب وحالة موت ولهاية (7) هذه المراحل المختلفة بلخصها السارد - الشخصية بحالة: الانعقاد الذموي لأن التحول سيكون عمّا قريب؛ تحول من فضاء مغلق (بطن الأم فالرحم) إلى فضاء واسع مختلف (الدنيا). أيّ مصير لهذا الجنين المتحدّث عنه الذي سيخرج من السّحن بدفع من الأم وجذب من العجوز التي تساعد الأم عند الولادة؟ "وها إني أدفع وأجذب نحو عالم أجهله".

## إلى شاعر الفلّوجة

الشاعر : عمر الكوراري

مازلت تكذب والأوطاب خاوية  
والشمعة احنضت والنور بر جف  
أين الملداد وريح العصف تشريه؟  
جف الملداد وما الأقلام تعترف  
من يقرض الشعر والسيافُ مخمسه؟  
لا الحمي يقوى ولا الأسلاف والحلف  
من أين يأتي الشذى والجن بمنعه  
والضمت للإثم والعدوان يتعرف؟  
مازلت تكذب والألوان باهتة  
عنوان مكنوبك الإهمال والنلف  
هل تزرع القول فيمن صهر مسمه  
وتزرعك اليأس في الأذهان يختلف

قد حنت العُربُ للآلامِ فاقسمت  
 كأسُ التفاقِ إذا ما خالها الشرفُ  
 وأطرب الجمعَ والغربانُ ناعتهُ  
 صوتُ النشيجِ بهِ الأقزامُ قد شغفوا  
 يا شاربِ الذلِّ لا تتركْ ثمالة  
 تخافُكِ الذلَّ إنْ أحجمتِ والقرفُ  
 قد أبيعُ الزرعَ والأجرَ امرئٍ شقتهُ  
 واستحصدُ الزرعَ لكن قومه انصرفوا  
 يا راسر الكافِ إن النونَ منتظر  
 إذن القديسِ وأمرالينهِ يزف  
 بغداد قد سمعت ما أنت قائله  
 بغداد قد سمعت ... بغداد والنَجفُ

## العزف على وتر الحرب

شعر : مختار المومني

• ح

خلقت غيمة في السما

صاح الأطفال

ما أحلى هزيم الرعد ما أروع نور البرق



.....  
ARCHIVE

.....  
<http://Archivebeta> والهملات قنابل

• ر

ياله من حرف إثر

كلما اسنوس الحب

حول حريا

• ب

بوابة الحرب

من يقدم أن يوصلها



فونيني

• عرق

ياله من عراق

كلما يزرع سنبلته

تطلع قنبلة.

• بغداد

يومك حرب

ليلك رعب

فكيف العمار؟!

• أعلنا.

الكوكا

المارلبورو

الهومبورغ

ميكي ماوس

العمرسام

أعلنا. العالم

## ومضات

شعر : عبد المجيد البراهمي

1/صورة:

صورة كمرأيتها

مرضع تخضه أمة

وثلبها في فمه

وعيناه صوب عينيها

كأنني به بنوئل إليها

ألا يكبر

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

فيلقى من الدنيا منه

--/--

2/ ميلاد القصيدة:

مع همس الليل

وأشواق العبيدة

أظلم قانما حتى الصباح

أظلم القصيدة

وفسي لا تزال تقبض في رأسي

والنبض يكاد ينوقف  
عند كل من دة جليدة.

--/--

3/ حنين

كان الشباب وكنت أهوى  
أطياف السحر في عينيك  
أنت البحر أمركم غازيا  
والشوق يسري بي إلى شفتيك.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.net>

--/--

4/ أمل

أكلما أغرت  
سكنت الريح  
فمضى أبلغ الضفة وأسرّج؟!

5/ الخمسون

الخمسون عاما وبلغنها  
فليس بالامر العجيب  
أن ذهبت عني عرامة الشباب  
وحل بي هدى المشيب

وجاني من بعد قوة ضعف  
كما يجني الليل بشمس المغيب.  
--/--

6/ تشيه

.. وأنا كطائر النورس

برغم العواصف

ظل بر فرف جناحيه

ينهادي مع الموج

ينهابل مع الريح

لو حط على التايست

لطالته يد البشر

فأني له أن يهدأ

وأني له أن يستريح

ما اشبهني به لو لم أكن

مكسور الجناحين

والقلب جريح.

--/--

7/ فلسطين

حين أظن في السماء.  
أشعر بأنها ستمطرنا بكور من اللهب  
لأننا أضعناك يا فلسطين لكأننا لسنا عرب.  
8/ بلوى

بليت بعشق الكلمات  
اللاتي تضمد جراحي النازفات  
واللاتي تصرخ في النيام  
من طنجة إلى الغرات

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sa... 9/ هيئات

هيئات.. هيئات  
كمر شاعر قبلي قد مات  
وكادوا يسوء  
مذ ذقنوه  
لولا الكلمات  
هيئات.. هيئات  
كمر شاعر قتلوه  
وقلبه مفنوح للحياة

## حفل تأبين

شعر : شهرزاد نصرآوي

كان يؤمنها

سعيد أنه قتلها

غرز في قلبها الرقيق خنجرًا طويلًا

وما تـت زهرة القرفل

بين يديه

قتلها وقتل الأحلام

وما يولد فيها

من أزهار القرفل والياسمين

حبُّه قاتل

دفنها وراح يؤمنها

"رحمك الله يا زهرتي العاشقة"

لإمكان للزهور



في هذه المدينة  
وعليك يا سيدتي أن تختاري  
إما أن تكوني:  
زهرةً تُلَاس بالأكلام  
أو كالأمملة السوداء.  
قتل حبسها مع الانشأ.  
فأي امرأة تريددين؟  
مُصِرٌّ على أن تحل الأزهار سودا.  
ومدينتها لأزهار فيها  
في يوم أطل الياسمين  
وابنسر وعائق السماء.  
حكم عليه الجلاد  
أن يموت في الحين  
فمدينتها

ليست بحاجة للياسمين  
وكفاها أنها أرض بور  
لا تقطح الأصمنا  
وعرقا أسود  
كلون الظلام  
كموت زوام  
كطير بلا أجنحة  
مدينة الجلادين  
تقتل كل جيل  
ثم تقيم له حفل تأبين





## هل يكفي الحبّ ؟

شعر : ناجي بن جنات

للوطن المكنوب بالأشواق

حكايات...

ونبض من الحلم...

ورعشة الوتر...

أطفاله كتبوا على جدرانها

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فرحة المرح

مرسموا على سور المدارس وثما

وزينة عنيقة العشق

ونورس البحر...

فهل يكفي أن نقول :

ما أجل الوطن المعلق في الربيع !

ما أطيب ذكرى في قصة القدس !

ما أروع شكله في مرحلة السطر !

للوطن المرسوم على ضفة الأحقاد

قصائد وردية

في مدائن الشعر ..

وأل أغنية

تعاند السحر ..



حكايته حفرت عميقا

ARCHIVE

في ذاكرة الصباحات

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ومولد الفجر ..

أوراقه الخضراء.

صارت دقات للعشق

فلن يكني أن تقول:

لحبك يا وطننا

بقدر الحنين المدون

في نهجة العمر ..

لن يكفي أن نكتب هذا الهوى

بكل المداد

وفورة الحبر ..

لن يكفي حقاً قولنا :

ما أعظم وطننا

تخلق أبعد من الطير ..

للوطن الملتحف ببوح الليالي

عشاق إلى الأبد

كتبوا قصائد هم

في موعد القمر ..

عانقوا قينا رهم

دفنا جنونا

مرقصوا طويلا



طويلا...

ساعة المطر..

مرسموا شكل طفولتهم

في توقد الجسم..

فيا وطننا لا يشبه إلا وطني

سنعرف اليوم

حجم الهوى

سنمضي غير

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

سنظل مرجعنا

في مواسم العطر..

فهل يكفي القصيد

حتى نكتب الشوق والحب

وهل يكفي أن نقول:

خبتك يا أكمل البشر..

ثماذج من القصائد:

## إيقاظ الرقود

شعر: سليمان بن يوسف

اشهدي يا عيني وانطلق يا لساني  
ما يجدي كوني غير صدق بياني  
هذي الحياة لعبة مخدوعة  
لبس الضحية فيها ثوب الجاني  
الكل فيها تائه لا يعلم  
أين حقوق الطفل والإنسان  
يا عالما غريبا ساده غاب  
قانونه من شرعة الحيوان  
الفوضى عمت الدنيا فإذا  
القهر قوي والحق فيه يعاني  
انظر إلى القدس الحبيس أرض  
وشعب في يد السحان  
هذي عراق المجد والتاريخ  
أين الحضارة أين الراقدان  
كابول تقضي، يموت أهلها  
وبشاعة التكيل في الشيشان  
باسم حرية الشعوب أبادوا  
حصدوا الأرواح قبل الأوان  
يا ويحهم، لن يدعوا للعيش غدا،  
إلا من اسمه أمريكاني  
فيا يراعي هيا، حبر دما،  
أيقظ رقودنا خشية الطوفان

## بكاء النباتات البرية

قصة بقلم : محمد بن علي

الإهداء : إلى أستاذي صالح القرمادي

في أعماق الهوة السوداء : سهل أخضر ساحر للقلب... ودون  
- ترى متى سيأتي مساعدي?... أن أدري كان الماضي يتفتت بين  
- هل سيعود قبل قدوم النهار؟ أصابعي ترابا شاحبا ممزوجا بأنفاس  
- هل يمكن أن تشرق الشمس من الليل القادم من وراء الجبل... الليل  
جديد؟ والصخرة الضخمة في مدخل الهوة  
عندما تركني مساعدي كانت والقطع الأثرية تتناثر في المكان...  
الشمس تميل إلى المغرب والمساء يأتي تحركت الصخرة تحت ضربات المعول  
زاحفا فوق التلال... ترى من يوقف وانفتحت فافرة فيها الكهفي...  
زحف للمساء؟ ويفرع القلب من وهويت إلى القاع... ضائعا في  
عتمات الظلام؟ وأنا وحيدا الفراغ... مرتطما بأرض صلبة  
واصلت حفر التل بعد أن تجاوزنا تكسرت فوقها عظامي وامتزج لحمي  
طبقات رسوبية يابسة وسط الحجارة بظلمات الليل وقد أطبقت على  
الأثرية الباهتة أثناء الظهيرة... وكانت المكان...  
هناك صخرة ضخمة تسد مدخلا ... "آه يا أحبتي يا ساكني أحداق  
قدما تيسست فوقه قطع فخار صفراء القلب... من يمد لي منكم يدا... من  
وآجر أحمر داكن اللون... يبدو أن يرفعي من الأعماق المظلمة؟ من  
قطعت آلاف السنين التي أصبحت لا يخرجني من الهوة العميقة؟ وكيف  
تساوي سوى طبقات ترابية تنام تحت تراوح عن هذا الجسد آلاف السنين  
آثار مهجورة بين جبلين يتمدد تحتها المتراكمة؟"

وغصتم في واديه... وشربتم من هذا  
الوادي أسفل الجبل فاروتيتم... ثم  
رحلتم ولم تبق منكم سوى أكوام من  
التراب وبقايا حجارة تنام في  
العراء... فمن منكم يعود من الزمن  
البعيد يسأل ضفاف الوادي عن  
هواه...؟...

أنا هنا على سفح الجبل الأجرد  
وقد غادرت مدينة "مكتر" قاطعا  
عشرات الأميال... أمامي تلك القرية  
الأثرية مستلقية في العراء... والروح  
يلفها رداء الخريف فتغرق في حزن  
شفيف... كان الجبل الآخر أمامي  
يسلم رأسه للريح والمطر والعاصفة...  
والنباتات البرية تولد من رحم الأرض  
فترجها رعدة الميلاد في ظلام  
سحيق... في خفقة الطين لحظة  
التكوين... ويصعد في تجاويها دم  
الحياة فتمد اليد في أعماق هذا الجبل،  
وتغور فلا تنقطع في نشوة العالم  
السفلي:

"... أيتها النباتات البرية يا عشقي  
الوحيد... أمد الأذن والعين إليك...

الريح والنباتات البرية :

أياما وأنا أحوس بين آثار قديمة  
قابعة منذ أحقاب بين جبلين أجردين  
تسكنهما صخور منكمشة أمام الريح  
والمطر والعاصفة... آه الجبلان.. مد  
الجبلان يدهما إلى السماء ونظرا إلى  
الأفق البعيد... كانت سلاسل أخرى  
من التلال على مرأى البصر تشق عنان  
السماء... وبينها بقايا قرى رومانية  
سكنها أناس مروا من هنا منذ ألفي  
سنة وشدهم عليها مدينة "مكتريس"  
القديمة التي تتوسط هذا التل  
الصخري... وإليها تنقل أحبة القلب  
واجتمعوا وافترقوا ورحلوا ونزلوا  
وأحبوا وكرهوا بقي منهم صدى  
راجل أبدا بين الخرائب القديمة  
يتحدث في أيام شحنه إلى الريح  
والمطر والعاصفة عن أناس كانوا هنا:  
"آه يا أحبي الراجلون... هنا  
نزلتم بين هذين الجبلين... وهنا بنيتم  
بيوتا سكنها الحب... ومزجتم دمع  
العين بخبز الأرض ومدتم يدا إلى  
السهل الأخضر على المنحدر

هذا الجبل المطل على أنقاض القرية  
القديمة عاشقا صوت الريح والمطر  
والعاصفة، أتمدّد على صخور الجبل  
أسمع عويل الريح وهي تهوي بين  
الوهاد العميقة في سفح هذا الجبل  
الصخري... تركض الريح...الريح...  
الريح... وتمسح وجه النباتات البرية  
فتتحني كسلى على الصخور، وترفع  
أوراقها الصغيرة في عزف صاعد إلى  
السما يمسح خيوط نشوة وحشية  
تفيض دفقا من هذا الجسد... ويعود  
هذا الفحيح نافعا صارخا متلويها  
ويخفق النباتات البرية، فتلث الروح  
وترفرق على قمم الجبال...

... أيتها القرية النائمة في أحضان  
الماضي... هجعت فيك الحركة منذ  
ألفي سنة... ومات فوق ترابك كل  
شيء، ولم يبق سوى رجع الصدى  
يردد في وحشة الصمت أنشودة  
الخواب... هذا ترابك مسكون  
بطبقات صخرية وقطع فخار وآجر  
منثورة على امتداد القلوات... إنك  
عاجزة عن الحركة و الكلام...

أتمدّد على تراب الجبل أبحث عن  
صوت لك في المدافن السحيقة...  
أنتظر لحظة الميلاد عندما تمدّين رأسا  
يشق تجاويف الأرض ويخرج للعراء  
فمن يخرجك إلى العراء؟..."

الريح... الريح... الريح والنباتات  
البرية الساكنة في رحم الأرض...  
تتلوى الريح فوق التلال وتركض فوق  
الصخور وبين الفجاج... تأتي متدافعة  
نسوق جيش السحاب، يشق صهيلها  
عباب الأفق... لا أحد يركب صهوة  
الريح ويعندو فوق التلال ركضا  
متصاعدا:

"... أيتها الريح العاوية على  
تخوم الجبال في هذه القرية المندثرة...  
سترجع إليك من رحم الأرض  
نباتات هذا الجبل... ستمد وجهها  
صاعدة من بين الصخور لترى  
الشمس وتشرب من شعاعها... فهل  
آن الأوان لتسمع الصخور عزف  
الريح على أوتار النباتات البرية؟..."  
سنوات طويلة مضت... وحفرت  
أحاديث على هذا القلب، وأنا أعود إلى



أقدر على رفع صوتي... وأناذي  
لتسمعي الريح والعاصفة والمطر؟...  
وغدا يوم مصرعي ستتعق الغربان في  
السماء، وسترحل الطيور المهاجرة ولا  
تسأل عني... وستبكي النبات اليربة  
من أجلي وستمد رأسها وتنحي  
لعزف العاصفة والريح والمطر...

"آه... غدا يوم مصرعي سيعلو  
السواد وجه الشمس، وستبكي  
الدنيا من أجلي، وسيأتي النهار  
حزيناً، وسيذهب الليل لابسا ثوب  
الحزن، وستشرب الريح قطرات  
السحاب، ولا أحد يركب صهوة  
الريح، وستسكن آلاف الأحزان  
غابات الدموع الراحلة على امتداد  
البصر... على امتداد ما ترى  
العين..."

وأنا وحدي سأعود إليكم يا من  
سكنتم هذه القرية... وذهبتم ولم  
يرجع منكم أحد... أنا آت إليكم  
عبر جذور النباتات اليربة وانحناءاتها  
للعاصفة، وفي ظلام الليل الطويل وفي  
سهيل الريح العاوية في الفحاج

وصوتك ضائع في عويل العواصف  
والريح والمطر... وأنا وحدي  
سأنش في تراكب الدفين أسأل عنك  
من أنت... فمن أنت؟..  
غدا يوم مصرعي :

أنا هنا متوحد في الظلام الدامس  
وسط أعماق الهوة السوداء... وهذا  
الجسد عاجز عن الحركة... وهذه  
الضلوع قد تحطمت، وهذه الرأس  
غائرة في التراب العميق... والريح  
تحرك النباتات اليربة في العراء وفي  
أعالي الجبل وفي تراب القرية الساكنة،  
وجذوره تلامس الأغوار العميقة.  
غدا سيأتي مساعدي والشمس تحتفل  
بعودتها وتمد أيديها الذهبية لتبارك  
الكون... وسيحمل رفشا جديدة  
وسواصل معا حفر الطبقات الترايبية  
في هذه القرية المهجورة لعل صوت  
الماضي يعود من جديد ويرفع إلى  
العراء شفة تتحدث عن الأيام  
الغابرة... أما أنا الآن فأتمدد في أعماق  
هذا القبر السحيق وقد أخذت برودة  
الهوة العميقة تزحف في أطرافي... فهل

البعيدة... وفي خفقة الطين لحظة  
 الميلاد... سأشد على أيديكم  
 وأضمكم إلى قلبي واحدا واحدا،  
 ولا أحد منا سيفسح دمة فراق...  
 أما الآن فقد دبت البرودة في  
 جسدي وتيسست يداي... أنا أت  
 ... آه ...

- ترى هل سيأتي مساعدتي غدا  
 صباحا؟  
 - هل سنواصل حفر الطبقات  
 الترابية في هذه القرية الضائعة بين  
 الجبال؟  
 - هل سيحدث حي؟

## II - الزمن في الأقبوصة:

أول ما نلاحظه في كتابات التلمودي هو عدم الإحساس بالزمن الكرونولوجي إذ  
 الزمن عنده نفسي شعوري يعيشه كيفما اتفق حدّ العبث. وفي هذه الأقبوصة لن  
 نخرج عن القاعدة بل أخذ مسار الاعتناق من فوهة الركبان وأرسلها إلى فوهة المسرود  
 له فحاء الزمن في الأقبوصة منحصرًا في ثلاثة مفاصل زمنية: [ساعة المخاض (ما قبل  
 الوضع / ما بعد الوضع) / ساعة الوضع]

<http://Archivebeta.Sakhr> يعيش السارد زمنين مختلفين

- زمن الكتابة: وقادة التذكّر، تذكّر أحداث عاشها البطل فعلا ولكنّه لم يكن  
 واعيا بها. فكانت هذه الأحداث بين الحقيقة والخيال لعدم توفر عنصر الوعي كما  
 أسلفنا... وهذا الزمن مرتبط بالحاضر: حاضر الكاتب ونظراته إلى الماضي البعيد؟  
 ماضي البداية.

- زمن الحكاية: أيّ الزمن الحقيقيّ وقت ما كان السارد في بطن أمّه وساعة  
 المخاض وساعة الوضع وهذا الزمن مرتبط بالماضي البعيد (الرديف 1942/09/17).  
 يعيش السارد الماضي والحاضر في آن واحد، لذلك جاء الحاضر الواعي بين زمن  
 المخاض وزمن الوعي. "إنّ حياتي القادمة قائمة على مفاهيم مخالفة تماما لتقاليدي  
 القديمة" فكانت القصة إذا حكاية الإنسان الواعي عن الإنسان اللاواعي.

## حبّ علي وجه الخطأ

بقلم : البشير التلمودي

-1-

عندما عاد إليه وعيه وفتح عينيه... رأى نفسه واقفا على الرصيف أمام واجهة فضاء (جنة العشاق)... ولم يعرف ما الذي أتى به على هنا... وكَم مضى عليه من الوقت وهو واقف ينظر مشدوها إلى الدمية التي سحرته بوجهها الوردى وشعرها الذهبي وفساتمها الأزرق... الساحرة... وهذا الحاجر بيني وبينك؟ فحاول أن يتبين وجهه على الزجاج الفاصل ورفع أصابعه المعروقة يتحسس قسماته الباهتة... فلم يقف إلا على خطوط صفراء وملامح متاكلة...

- عجباً... كيف يمكن للأيام أن تفعل هذا ولم أشعر؟! قالها بمرارة وأضاف في انكسار:

- تَبَا للأفيون الذي كنت أتعاطاه منذ أكثر من ثلاثين سنة... أغمض عينيه كأنه يحاول مواصلة وتذكر فطومة ولطفة ونبهة بنات (خالته) جميلة وعربية ابنة (خالته) خديجة... تذكر أحلامه المجنحة وحواراته الخيالية مع صديقه أحمد

العشق ودعيني أبحت معك عن نقطة  
للبدء تتحول فيها كلماتي إلى قطرات  
ندى أزرعها بمحيرات خضراء على  
جسدك الغارق في الضباب...  
لكنه صمت قليلا وتساءل في قرارة  
نفسه:

- ترى ما الذي يكن أن يضيفه عاشق  
يحنون مثلي إلى امرأة خرافية مثلك ؟  
ترى ما الذي يمكن أن تضيفه حبة  
رمل مثلي إلى هرمك الملامس  
للسحاب ؟

وأضاف في انكسار:

- مأساة حبه الرمل... أنها رقم بسيط  
من سلسلة أرقام لا تنتهي... مأساة  
حبة الرمل... شعورها الدائم بالحب  
وإيمانها به أن الحب يا معبودي... هو  
أقوى أنواع الإيمان...

أغمض عينيه فإذا بها تنتقل وتتمايل  
كغزالة بين أزقة (باريس) العتيقة...  
هكذا... أنيقة... رائعة معطرة  
كفجرية عذراء... أخرج الدفتر ونظر  
إلى صورتها وغرق في عمق عينيها  
طويلا فأحس بأن شعوره مزدوج هذا

حول اعتزامه السفر إلى إيطاليا لدخول  
عالم إلى السينما وبالتالي التواجد جنبا  
إلى جنب مع (جينا) التي أحبها من  
النظرة الأولى عندما مثلت (أزمرalda)  
في شريط (أحذب نوتردام)...

مازال يتذكر جيدا كيف أنه أحبها  
بكل قواه وكيف كان يعمد إلى قصص  
صورها من كل المجلات والجراند  
ليلصقها في كرأس خاص كان يجنيه في  
مكان بعيد عن عيون أبيه وأمه...  
- (أزمرalda) يا حبيبي... كيف

انتعتقت من أسوارك العالية ودهاليز  
عالمك القدسي؟

كيف سمعت ندائي الحقيقية؟  
كم كنت أحسده ذلك الأحذب  
الذي حاول افتكاك قلبك مني...

كم كنت أغار منه عندما كان يقدم  
إليك زهرة الجدران... فتأخذينها منه  
وتبتسمين...

تعالى إليّ حتى أهدي إليك حدائقي  
المعلقة لفراشاتها وأطيارها... تعالى  
واجلسي قربي يا أيتها الفجرية الفاتنة  
حتى أحبك حبا يحنوننا لم تعرفه أساطير

المساء... فيه الحب وفيه الخوف  
معا... لكنه كان واثقا من أنه قادر  
على مسح كل أحزانا الصغيرة...  
قال يخاطبها:

- أنا أفكر فيك... إذن فأنت معي  
حقيقة في هذه الشرفة الصغيرة المظلة  
على المر الترابي... تنظرين إلي في  
وداعة وشعرك كالألسنة نار في  
العاصفة. ستكونين لي وحدي بعينيك  
الخلوتين وشعرك النائر وعطرك  
الأخاذ...

أعجبها كلامه الطفولي... فجلست  
قربه كدمية سكرية عذبة ووهيته  
شفتيها ليغرق في بحر حبها الجارف  
ويسافر به سحرها الجبار إلى ساحل  
أحلامه الوردية...

عندما عاد من رحلته العذبة  
وعانقت نظراته صورتها الدافئة...  
خاف أن تكتشف أمه أحلامه المخبئة  
فتلومه أكثر على تقاعسه في الدراسة  
وجريه الدائم وراء السراب...  
أعاد دفتره الوردي إلى مخبئه وخرج  
لملاقاة صديقه أحمد وليته ما فعل...

عندما دخل عليه وجده كالعادة  
غارقا وسط كوم هائل من الجرائد  
والمجلات يعمل فيها بمقصه طمعا في  
جمع أكبر عدد ممكن من صور كرة  
القدم شرقا وغربا... وقد خصص  
لهاويته (الغريبة) دفترا خاصا بالترجي  
الرياضي فربقه الغيب الذي أخذ من  
وقته ما أخذته منه حبيبته جينا.  
- مسكين أنت يا أحمد... لست  
أدري ما الفائدة من جمع هذه  
الصور... أنت لا تعرف كم أكره  
هذه الكرة التي أصبحت معبودة  
جماهير البسطاء أمثالك.  
- آه لو تعرف لذة هذه الهواية... إذن  
لنسيت السينما والجري وراء الصور  
المتحركة... والحكايات الفارغة...  
قال ذلك ثم أضاف كما لو أنه نسي  
شيئا هاما يريد إخباره به:  
- ... وأنا أبحث عن صور ملاعب  
إيطاليا في مجلة أخذتها من عمي...  
أنظر ما وجدت...  
نظر إلى بقايا المجلة التي بين يديه فبقي  
مشدوها أمام صدمة هدت كيانه

وكل القصور التي بناها في خياله...  
 - جينا تتزوج من طبيب جراح  
 (موش معقول؟).  
 ولم يدرك كيف خرج من عند أحمد...  
 ولا كيف هام على وجهه في شوارع  
 الحي... لقد زرع هذا الخير الصاعقة  
 في عروقه أحرانا بقيت تعذبه أياما  
 طويلة كره فيها كل الأشياء...  
 - كيف يمكن أن تتزوج؟ ومن هذا  
 الذي تزوجته؟  
 رغم بوادر اليأس الأول... بقي يحب  
 جينا حبا كبيرا حتى عندما علم عن  
 طريق الجريدة أيضا أنها أنجبت  
 مولودها الأول...  
 عندما فقط وقف على الحقيقة المرة  
 وعرف بما لا يدع مجالاً للشك أنها  
 أحبت غيره... فقط لأنها لم تلتق به !  
 فتبا لهذا البحر الذي بينهما.  
 حزنه الشديد على (جينا) الذي سربل  
 حياته طوال أيام طويلة لفت نظر  
 (عربية) ابنة (خالته) خديجة... تلك  
 الفتاة السمراء الرائعة الجمال ذات  
 الأطول شعرا رآه... ما أجملها عندما  
 تبسم في وجهه بفمها اللوزي  
 وأسنانها الصغيرة البيضاء...  
 قال لها يوما وقد اعترضته في السقفة  
 باسمه في وجهه كالعادة:  
 - هل تعرفين؟ أسنانك البيضاء جميلة  
 جدا... كأنها أسنان بنية صغيرة...  
 وقد أعجبت بكلامه آنذاك...  
 فابتسمت له من جديد وقالت وهي  
 تضع سبابتها على شفته السفلى:  
 - وأنت هل تعرف؟ لو كنت كبيرا  
 لتزوجتك... فقط... من أجل شفتك  
 السفلى الغليظة هذه.  
 قالت ذلك ووضعت شفتيها باقة  
 فواحة على شفته الجافة على شفته  
 الجافة كأنها تقول له: أحبك!  
 لم يفهم كيف حصل هذا في لمح  
 البصر وما الذي حدث... يحدث؟  
 وتساءل عن سر هذا الذي بات يجتمع  
 بعربية رغم فارق السن. فهي في بداية  
 عقدها الثالث. بينما هو مازال على  
 عتبة الطفولة وتساءل: ترى هل أن  
 للحب عمرا محددا؟  
 نظر في عمق عينيها وحاول أن يقول

وفطومة ونبيهة يلتفتن انتباهه... كان ينهض باكراً حتى يراها من خلال نافذته الصغيرة المطلّة على (الدريّة) وهي تقوم ببعض الشؤون المنزليّة... أنّها أجمل امرأة في العالم...

ولم تعرف حالته (تحتيّة) وعمه (الطاهر) لماذا أصبح يقدم خدماته لهما أكثر من المعتاد لجلب الماء من الخنفيّة العمومية أو اصطحاب (عربية) إلى الحمام أو إلى دار عمته (سعاد) ؟ فقد كانت أمنيته الأولى اصطحابها في

كل مكان وخاصة عندما تطلب منه أم عربية الذهاب مع الصبايا إلى (السينما) خوفاً من مشاكسة ومعاكسة شبان لا أخلاق لهم... وقد كان يقبل ذلك رغم ميله إلى مشاهدة الأفلام المصرية المليئة بالرقص والغناء... فقد كان يميل إلى مشاهدة الأفلام الفرنسيّة تلك التي تعالج قصص الحب والمغامرات والتي يمثل فيها أبطال كحاجان ماري وآلان ديولون وجون بول بالمتندو وبطلات مثل صوفيا وبرجيت... فحتى كلوديا لم يكن يحبها نظراً

لها كلاماً كثيراً... لكنه خاف ردّة فعلها وما قد يثيره بوحه من مشاكل... فاكفني بأن قال لها:

- وجهك الخمري... وشعرك الطويل وعيناك العسليةتان وابتسامتك الساحرة... كلها تذكرني بجمينا لكنك أجمل منها... واللّه.

أعجبها كلامه على سذاجته وبرأته... فأحسّت بالسعادة تغمرها... وضمته إلى صدرها بكلّ قواها وهمت:

- ثق بأنك ستبقى صديقي الوحيد مدى الحياة.

عندما عاد إلى غرفته واختلى بدفتر صوره... ألقى نظرة أخيرة على حبيبته الخائنة ولم يعد في وجهها إلا قسّمت (عربية) التي لم يعرف كيف استطاعت في لحظات قصيرة أن تمسح عن قلبه أحزان الخيانة... لتزرع فيه بذور الأمل والحب... ونام ليلتها أدفاً ليلة عرفها منذ أن بدأ حبّها يتسلل إلى قلبه... فلم يعد يرى أحداً في الدار سوى (عربية) ولم تعد نزيهة

لتلك (البحة) التي لم تفارق صولها. عائلة حبيبته العشاء... ييدي رغبته  
لم يعرف كم دامت علاقته الحميمية الملحة في الصعود إلى شقته لإنجاز  
بعرية لكنه ما زال يتذكر أهم محطات الدافئة التي بقيت منقوشة على صفحة  
قلبه المعذب كوشم بربري لا يمحى... فروضه المدرسية... فكانت (عربية)  
تصعد معه صلبة صديقتها فاطمة ابنة الخالة ناجية لموانسته وحتى لا يشعر  
بالوحشة... لكنه كان يعرف أن سبب صعودهما كان لغرض الاستماع  
إلى البرامج الإذاعية كمسرح الإذاعة وأغاني الأفلام وخاصة من أجل ذلك  
الحوار الخفي والهمسات الساخنة خديجة لم يصدق الأمر... لقد رحبت  
أم عربية به ودعته إلى تناول عشاءه مازال يتذكر تلك الليلة الحمراء...  
وعشاءه في غرفتها مع (عمه) الطاهر كانت عربية وفاطمة جالستين على  
الحشية تستمعان إلى أغنية (بنادي) الحشية تستمعان إلى أغنية (بنادي)  
عليك: لفريد الأطرش تحت آهات العلوية. وكان الأمر كذلك طيلة سهرات لا  
تنسى... مازال يتذكر كيف أنه أصبح يحب  
الليل كثيرا... لأنه الزمن الذي سيجتمع به بالفتاة التي ملأت حياته  
وأنسته خيبته المريرة... فأحبها من كل قلبه حبا لا يوصف...

عندما يأتي المساء... ويتناول مع - لماذا تضحكان ؟



- ابتسمت له عربية فبانت أسنانها الصغيرة البيضاء... ولم تقل شيئا...  
قال يسألها:  
- أين فاطمة ؟  
- نزلت...  
- نزلت ؟ وأنت هل..  
- نعم سأبقى قليلا أليس هذا ما  
كنت تمناه ؟  
ولم يستطع أن يقول لها شيئا..  
كان يرتعش كالقصبه في مهب الريح وأحسّ بشعور عجيب يهز كيانه ولم  
يعرف هل هو في يقظة أم في منام  
وكاد يصبح بكلّ قواه: "إنّ من أحبّها  
تمام معي الليلة!"  
ابتعدت عنه قليلا وهو محمق فيها  
كمن لم ير امرأة في حياته... وعلى  
ضوء المصباح الشاحب بدأت تغلغ  
ثيابها قطعة قطعة لكن أجزاء من  
جسدها بقيت مخفية وراء شعرها  
المتهدل... فأعاد إلى ذاكرته صورة  
جسدها العاري عندما تجرأ ذات  
قيلولة على دفع باب دورة المياه لراها  
وهي تستحم قرب الماجل... كانت  
أجمل كائن رآه في حياته... لكن ما
- وكأنّ عربية أيضا لم يعجبها  
تعليق صديقتها على سؤال حبيبها  
الصغير فقالت في شبه عتاب:  
"يعطيك يا فاطمة.. أخطي الطفل"...  
- مازال يذكر أنّه اندسّ تحت  
الغطاء مكسور الحائط. وقد قهمت  
عربية بواذر غضبه فخفت حوارها مع  
فاطمة بينما واصل برنامج أغاني  
الأفلام بث أنغامه الشجية...  
عندما فتح عينيه المبلّتين بدموع  
الحرمان لم يصدق ما يحدث... أحس  
بأصابع ملاتكية تسوي الغطاء على  
كتفيه... فالتفت لراها منحنية عليه  
ووجهها الحمري يكاد يلامس وجهه  
الشاحب... ولم يفهم كيف ازداد  
جمالها هذا المساء وكيف اتخذت

.. ولم يقدر على فهم شعوره وجسد  
هذه الأنثى يلامس جسمه لأول  
مرة... لقد كان عطرها مزيجاً من  
البحور والأحلام الذهبية وشعرها  
الذي طالما تمنى ملامسته بات ملقى  
على الوسادة كبساط مخملي رائع.. ولم  
يدر هل يدير إليها وجهه الشاحب  
ليغرق في جمال وجهها الحمري أم  
يترك لها زمام المبادرة... ومرة أخرى

خائنه شجاعته وقلة خبرته في شؤون  
النساء... فبقي ممدداً جسداً بلا حراك  
... ولقد أحسّ بأنفاسها النارية العطرة  
تلهب وجهه ورقبته قالت له في همس:  
"أشييك؟ خايف... هيا دور لي..."

ووضعت يدها اليمنى تحت رأسه بينما  
طلّقت صدره بيدها اليسرى... ليلتقي  
وجهاهما لقاء القرب فإذا بها أجمل من  
أي وقت مضى.. بعينها السوداءوين  
أنفها الصغير وشفتيها الممتلئتين  
وفهمت أنه يشتهي تقبيلها.. فطبعت  
على شفتيه الجافتين الباردتين قبلة  
زرعت في عروقه نشوة عارمة أزاحت  
عنه جليد الانبهار.. فطوّقها بدوره

إن رأته واقفاً حتى حاولت ستر نفسها  
بيديها دون جدوى... وللمرة الثانية  
في حياته رأى لثديها الرائعين كفرخي  
حمام وديعين لم يعرف يومئذ شعورها  
ازاءه بالضبط لكن غضبها عليه زرع  
في عروقه أشواكاً وعجيباً... لكن  
هاهي هذه الليلة تقرر أن تكون له  
وحده... عارية إلا من غلالة حمراء  
من نار...

اقتربت من فراشه... وقفت قرب  
طويلاً وهو يرتجف كعصفور في العراء  
بلله القطر كأنها تنتظر أن يمدّها لها  
يده... وعرفت أنه مازال على عتبة  
التجربة ولم يعرف بعد أسرار  
النساء...

قالت له في شبه همس: "نحب نرقد  
بجذاك؟".

لكنّها لم تسمع جوابه لأنه اكتفى بأن  
حرك رأسه موافقاً.. فاكتفت بذلك  
ورفعت حافة الغطاء وتسوّلت إلى  
جانبه في الفراش الضيق.. فأحسّ كما  
لو أن نار تسرّبت إليه من تحت الغطاء  
الذي كان منذ لحظة بارداً كالثلج

بذراعيه وغرق معها في بلج من نار  
 الحب.. كان كجائع هذه الجوع  
 شهورا طويلة وقاده القدر إلى وليمة  
 زاخرة بشمار الجنة...  
 ودون أن يشعر وجد نفسه يداعب  
 خصلات شعرها المتهدل على كتفيها  
 وصدرها... حملق طويلا في تهديها  
 وخاف أن يتجاوز خط النار فتغضب  
 لجرأته المفرطة... لكنّها فهمت رغبته  
 المكبوتة فكشفت عن تهديها الرائعين  
 وبان له جليا الخيال الذي طالما تراءى  
 له كقطرة عسل حطّت على مشارف  
 تهدها الأيمن... قال لها:  
 -"ما أحلاها بوس الخيال...."  
 ابتسمت في حبّ وقالت تشجعه:  
 -"بوسها كيف عجبك... فقرب  
 شفثيه وطبع على خال قبله طويلة.  
 ولم يفهم كيف هزه طوفان القبل من  
 حديد ليغرق وإياها في بحر بلا  
 ساحل... كان يعرف إنّها امرأة لذينة  
 لكنّه لم يتصوّر أنّها ساحرة بهذه  
 الكيفيّة ولأوّل مرّة عرف أن المرأة هي  
 ضالة الرجل الأولى ومنبع سعادته

الأوحد...  
 .....  
 عندما استفاق من نشوته.. لم يعرف  
 بالضبط ما الذي حدث.. كلّ ما فهمه  
 هو أنّه سعيد جدا... وأنّ ما عاشه مع  
 عربيّة كان من أجل ما ذاقه طوال  
 حياته... وتيقّن أنّه أصبح يحبها أكثر  
 من أيّ وقت مضى...  
 نظر إليها من جديد وهي نائمة إلى  
 جانبه كعروس أسطوريّة بشعرها  
 الطويل الملقى على صدرها العاري  
 وأحسّ من جديد بالرغبة في أن يقبل  
 قطرة العسل على تهدها الأيمن... ففعل  
 لكنّه عندما رآها تبتسم له... أمطرها  
 بقبلات أخرى على وجهها وجيدها  
 وصدرها ويديها...  
 قالت تسأله:  
 -وه... ياخي ما رقدتش؟  
 فاكتفى بأن قال لها: نحبك!  
 ابتسمت له فبانت أسنانها الصغيرة التي  
 أحبها كثيرا وقالت:  
 -حتّى أنا نحبك.. لكن ردّ بالك.. ما  
 تحكي لحد...

أفكاره... فإذا به أمامها كالصنم  
البارد...

نظرت فى عمق عينيه فإذا به يىكى فى  
صمت... فضمته إلى صدرها بقوة  
وأمرت وجهه بقبلاى سريعة وقالت  
تطمئنه:

"والله والله والله... إلا ما نخذلك مرى  
تبل..."

ولأول مرة أيضا عرف أن حبه الجديد  
المولود مع الفجر الأزرق.. قد رحل  
بلا رجعة حيث خيالها المسافر كالعلم

كان يعرف أنها ليلة خالدة لن  
ينساها لكنه لم يكن يتصور أنها  
ستكون الليلة الوحيدة والأخيرة ولم  
يفهم لماذا غيرت عربية من نمط  
نشاطها وسهراتها.. فلم تعد تأتى للسهر  
فى بيتهم ولم تعد تغريها برامج أغاني  
الأفلام.. حتى لقاءها الحميمية مع  
فاطمة وسعاد لم تعد معروفة لديه  
وأحسن أنها بدأت تبعد عنه ولم  
يعرف السبب!؟

ولأول مرة فهم أن المرأة كائن عجب  
زبقي متقلب! إلى أن وقف يوما على  
الحقيقة المرة وهي أنها ستزوح قريبا  
فانهار مصدوما كحذار هذه زلزال  
مدمر!

قالت تسأله وقد التقت به فى السقيفة:  
-"ما تقوليش مبروك... (تتألك) باش  
تعرس...

ولم يستطع أن يقول لها شيئا... كانت  
المفاجأة أكبر من أن يتحملها قلبه  
المتيم بحبها الصاعدة... ومرة أخرى  
عاوده ذلك العجز القاتل الذى يقعه  
كلما أراد أن يصور عواطفه ويلور



يتبع

## "آخر نداء"

### متابعة جمال الشراذي

أخيرا بلغ "آخر نداء" لهدى العقرباوي مداه ورجع الصدى رائعا  
وصدى المبدع هو قلب للمتلقي والروعة هي لفته.

آخر نداء المجموعة الشعرية البكر لهدى العقرباوي الصادرة عن دار  
الإتحاف للنشر واصلت للقارئ وبدأت ترحالها لتسافر من مكتبة إلى  
أخرى ولأنّ للشاعر منزلة خاصة في قلب الإتحاف فقد فتحت لها هذه  
الأخيرة قلبها في أمسية رمضانية لتختفي بها في الطرف الغربي للمدينة  
وبعيدا عن صحب المقاهي التي عادة ما تضيح في ليالي رمضان بالساهرين  
الفارحين بقاء موعدهم الأثير.

قلت بعيدا عن كلّ هذا وفي مكان ينأى بنفسه وكأنه يتخذ موقفا واضحا  
لا يمكن أن يتخذه إلا من أدرك أنّ المدينة لم تعد مكانا للسكينة والهدوء  
ولا للشعر، بعيدا عن كلّ هذا أضاء مقهى سليم فوانيسه للعراء ولحبي  
الشعر ليجمعوا ويستمتعوا ويستمتعوا بمائدة شعرية طازجة تنصب على  
نخب الشاعرة ومجموعتها البكر الأمسية استهلها الشاعر جمال الشراذي  
بتقديم يليق بمستوى الأمسية وبكرم الذين فكروا فيها وفي تأنيثها وأعني  
بالذكر مجلة الإتحاف واللجنة الثقافية المحلية لمدينة سليانة الجنوبية.

أنني على الشاعرة التي آمنت أنّ للشعر مكانا مازال وأحقته في الحضور  
وفي المنافسة المترقعة والواية، بعدها أحال لها المصداق لتقرأ من شعرها  
قصائد خارجة في الترتيب الوارد بالمجموعة وكان باختيار متفق عليه

ضمنيًا بين الشاعر ومنشط الأمسية حيث تمّ اعتماد مواضيع القصائد المقروءة والتي تستجيب في رأيها للأجواء السائدة في القاعدة أو في أذهان الحاضرين ليكون التفاعل واضحًا والإنتشاء لا غبار عليه.



<http://Archivebeta.Saknini.com>

وبين حصّتين مع الاستماع للشعر والاستمتاع به كان هناك فاصل من الموسيقى جمع بين الكلمة الملتزمة والمريدة وبين اللحن الضارب في أعماق الشعب واهتماماته بعدها وقع تكريم الشاعرة من طرف مؤسس مجلة الإتحاف ومديرها الأستاذ عبد القادر الهادي الذي نوّه بجرأة هدى العقرباوي ومراعاتها على الشعر في زمن الفضائيات وثقافة المتعة والتهميش لتنمي الأمسية بمداخلة قصيرة للشاعر الهادي عبد الملك قدّم فيها لمجموعته الشعرية "قطرات والصادرة عن دار سنابل للتشر والتوزيع هذه الدار الذي تأمل أن تكون معينا آخر لدعم الإبداع ومبدعيه انطلاقا من سليانة الجميلة.

## أقلام واعدة

متابعة هدى العقرباوي

أصدقائي أصدقاء الكلمة. نلتقي من جديد في هذه المساحة من المجلة وأعلموا أنني سعيدة بكل رسائلكم التي تحمل محاولات شعر صادقة وأشكر لكم ثقتكم المتواصلة في مجلتيكم "الإتحاف" التي من المؤكد أنها ليست قناة فضائية ولا نافذة أنترنات ورغم ذلك مازالت قائمة لم تنافسها مظاهر العولة والقيم المنقولة في إهتمامكم وثقتكم فأهلا وسهلا بكم ودمنا أصدقاء .

\* الصديقة جهاد الكريفي :

قد تخنقنا العبرة وقد نصرخ غضبا، أو بكاء أو صمتا والأجمل على الإطلاق صرختك شعرا، حاولتكم "الصرخات الثلاث" كانت تكون أجمل لو ركزت أكثر على الصورة الشعرية لكنها تبقى محاولة تنم على الموهبة وتقصصها التمكن من اللغة، ننشر لك :

### صرخة ثانية

الأحجية البلهاء

هجرت ذاكرتك يا حدي

والبحر صار بلا أمواج

الوقت الجريح

سرق الأحجية والأمواج

يضمّد جرحا ليفتح آخر

### صرخة ثالثة

المرأة لا تعكس صورة وجهي

وموعد اللقاء قريب

أعاري الوقت الجريح وجها

فكان اللقاء

وكان الفراق

\* الصديق شوقي الغريالي :

قصيدك "صوت الزمن" موزون على بحر الرمل التام إلا أن القصيد ليس فقط  
قواف ووزن بل هو معان بالأساس، ركّز على كليهما، ولا تكن مجرد صانع  
للشعر بل شاعرا، وحاول تأليف قصة عشق رائعة بين الكلمة والوزن، بين  
الإيقاع والمعنى، عندها سيولد القصيد، من محاولتك "صوت الزمن" ننشر لك  
وللقراء الأعزاء هذه الأبيات:



صوت الزمن

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

بين طيات الصبّا في انفرادي

أين ألحان السموّ المستنيرة

فأجبتني يا صدى صوت فؤادي

أو تاهت عباراتي في العواصف

أم تلاشت بين أوراق اجتهادي

غاب فتني بين أصوات الموحن

اعتراف يأس إبلاغ مرادي

كنت حرّاً في إنفرادي وشجوني

في صميم الغربة غاب رقادي

عذبة أنت أرياح الجبال

فيك شدوا للبلابل وهو زادي



سأولى تاركا تلك القصور

بين طيات القداسة لانفراي

\* الصديقة جميلة العبيدي :

سوف أكرّر لك نصيحتي، لا تسقطي في عمليّة التداعب الحرّ وتحملي القصيد ما  
تظنّيه "مأساة" لاهثة في ذلك وراء قافية مفتعلة هذا لا يخفي حسّك المرهف  
وسعيك الدائم إلى بناء القصيد ومنه تأكدي سيكون بناء الذات وعندها سيكون  
لحكايتك نهاية سعيدة : من محاولتك "حكاية بلا نهاية" ننشر لك هذه المقتطفات:

### حكاية بلا نهاية

كتبت بدموع الحزن

قصيدا يتيما

يشتكي صمت الوجود

ينبذ حبّ القبود

رقص الحزن

للقلب الملطخ بالدماء

خرساء ...

عمياء ...

صماء ...

في صمت الدهور

في محور من الدماء

تسيح روحي

وإلى لقاء قريب في العدد القادم

صديقتكم بعد إذنكم طبعاً

هدى

## سبعينية الشاعر الخالد أبي القاسم الشابي

متابعة : محمد العائش القوي

الشاعر الخالد أبو القاسم الشابي وهو قصيد رائع ومميز وأجمل ما كتب لهذه الاحتفالية الخاصة بالسبعينية .

الجلسة العلمية الأولى : برئاسة الأستاذ المنحي الشملي مداخلة الأستاذ محمد الصالح بن عمر وهي بعنوان "من أجل أجوبة عرفانية عن سؤال عبقرية الشابي" ثم مداخلة الأستاذة ألفة بن يوسف "هوس الشابي الشعري" - نقاش -

الجلسة العلمية الثانية : برئاسة الأستاذ محمد اليعلاوي مداخلة الأستاذ محمد علي القارصي "الحياة والحركة قراءة في مدونة الشابي النقدية" مداخلة الأستاذ كمال عمران "قراءة في يوميات الشابي" ثم مداخلة الأستاذ فوزي المرلي "في صلة مذكرات الشابي باليوميات الخاصة" ثم نقاش

الجلسة العلمية الثالثة : برئاسة الأستاذ عز الدين المدني مداخلة الأستاذ حمادي

نظمت المندوبية الجهوية للثقافة والمحافظة على التراث وولاية توزر سبعينية الشاعر الخالد أبي القاسم الشابي بدار الثقافة الشابي أيام الجمعة 12/03/2004 والسبت 04/12/2004 والأحد 05/12/2004 واحتوى البرنامج الذي أشرف على افتتاحه السيد والي توزر بزيارة روضة الشابي وقراءة الفاتحة وافتتاح المعارض : معرض الكتاب للدار العربية للكتاب، معرض

وثائقي حول الشابي ومعرض الفنون التشكيلية مستوحى من أغاني الحياة وعرض سمعي بصري حول الشابي مع كلمة الافتتاح للسيد موالى توزر والسيد جمال الدين الشابي المندوب الجهوي للثقافة والمحافظة على التراث بتوزر ثم قراءات شعرية من بينها قصيد "السبعينية" للشاعر محمد عمار شعابنية والتي احتوت على سبعين بيتا شعريا حسب الأحرف من أ إلى ي لاسم

صمود وملاحظات حول رسالتين من  
رسائل الشابي والخليوي مداخلة الأستاذ  
صالح بن رمضان "شعرية رسائل  
الشابي وبوادر التحديث - مداخلة  
الأستاذ عادل خضر" الشوق على ذلك  
الآخر "قراءة في الخيال الشعري عند  
العرب" - ثم نقاش - قراءات شعرية :  
محي الدين خريف - نورالدين صمود -  
جميلة الماحري - سوف عبيد - محمد  
المادي الجزيري - عادل معيزي -  
شمس الدين العوي - يوسف رزوقة -  
حافظ محفوظ - عبد السلام لصيلع -  
محمد السبوعي - محمد الخالدي -  
احميدة الصولي - محمد القزوي - الميثاق  
بن صالح - عبد الله مالك القاسمي -  
محبوب العياري ، ثم جولة بواحة توزر  
وزيارة دار شريط وفي السهرة حفل  
موسيقي في القصائد المغناة للشابي.

الجلسة العلمية الرابعة والأخيرة: برئاسة  
الأستاذ محمد الأزهر باي مداخلة  
الأستاذ صلاح الدين بوجاه "البنية  
السردية في مذكرات الشابي" مداخلة  
الأستاذ محمد الباردي "تعالق السردية  
والشعري في أغاني الحياة" مداخلة

الأستاذ رياض المرزوقي "نحو تحقيق  
علمي لـ أغاني الحياة" ثم  
نقاش. وقراءات شعرية : الشاذلي زوكار  
- خير الدين الشابي - محمد الأمين  
الشريف - جمال الصليحي - نورالدين  
بالطيب - آمال موسى - فضيلة الشابي  
- نجاة العدواني - يدم فتحي - عبد  
الوهاب الملوح - فوزية العلوي -  
المولدي فروج - البشير القهواجي -  
حسين القهواجي - سويلمي بوجمة -  
الهاشمي بلوزة - بلقاسم الشابي -  
الصادق شرف (أبو وجدان) محمد  
المادي بوقرة - الأزهر النفطي - نجاة  
الوزغي - ستوى القندري - البشير  
المشرقي - صلاح داود - محمد علي  
الماني - وكانوا ضيوف الشرف لهذه  
السبعينية الأستاذة: محمد اليعلاوي  
والمُنحى الشملي - وعز الدين المدني  
ومحمد الأزهر باي - والمخرج السينمائي  
علي العبيدي والفنان لطفي بوشناق .

وفي الأخير تم اختتام فعاليات السبعينية  
بقراءة البيان الختامي والتوصيات على  
أمل اللقاء في مناسبات واحتفالات  
أخرى قادمة إنشاء الله .